الاحداث الكتابيَّة والتشابيه النصرانيَّة

في

شعراء الجاهلية

بحثان للاب ل. شيخو اليسوعيّ

مدرّس الآداب العربيـة في المكتب الشرقيّ

اللاحق بكليَّة القديس يوسف

ظهرت تباعاً في اعداد المشرق من سنتهِ السابعة

obeikandl.com

obeikandl.com

١

الاحداث الكتابيَّة

في

شعراء الجاهلية

انَّ من يسرّح الابصار في رياض الشعر الجاهليّ لا يكاد يجد في شذراته التي نجت من ايدي الضياع الّا شيئًا يسيرًا ممّا يفيدنا عن اديان العرب ومعارفهم الدينية. وقد كنّا سعينا في اثناء مطالعاتنا ان ندوّن ما عثرنا عليهِ من ذلك رغبةً في تعريف احوال اهل الجاهليَّة وما شاع بينهم من آداب الآخرة. واليوم قد احببنا ان نقتطف من هذا المجموع نبذةً نودعها ما وجدناهُ من الشعر القديم محتويًا على أحداث الاسفار المقدَّسة كتكوين العالم وخلقة الانسان الاوَّل مع ما جرى للآباء الاوّلين والانبياء المعظمين متَّبعين في ذلك التاريخ المقدَّس واطوارهُ جيلًا بعد جيل الى ظهور السيد المسيح لذكرهِ السجود مع بيان المصادر التي اخذنا عنها

١ تعريف الخالق ووحدانيته وصفاته الالهيَّة

نبتدئ بذكرهِ عزَّ وجلَّ مثبتين بعض ما ورد في الشعر القديم من اوصاف الذات الالهية. فمن ذلك قول زيد بن عمرو:

الى الله أُهدي مدحتي وثنائيا وقولًا رصينًا لا يَني الدهرَ باقيا
الى الملك الأعلى الذي ليس فوقهُ إلهٌ ولا ربٌّ سواهُ مدانيا (١

وهذه الابيات تُروى لأُميَّة بن ابي الصلت (راجع المقاصد النحويَّة في شرح

---

١) هذه الابيات وردت في كتاب البدء والتاريخ (١ : ٦٣) المنسوب لابي زيد احمد بن سهل البلخي (ed. Cl. Huart, 1899-1903). وقد ورد البيت الاوَّل مصحفًا على هذه الصورة:

الى الله أُهدي مدحتي وثنايايا وقولًا رصينًا لا بنى الدهر باقيا

(راجع ايضًا سيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦ وخزانة الادب ٤ : ٢٤٢ وروى: لا يفي الدهر باقيا . . . وروى: يكون مدانيا)

شواهد الالفيَّة في هامش خزانة الادب ص٢٤٣) . وجاء في خزانة الادب (١ : ١١٩) مرويًا لأُميَّة قولهُ في قدرتهِ تعالى :

ألا كلّ شيء هالك غير ربّنا ولله ميراث الذي كان فانيا
ولي لهُ من دون كلّ ولايةٌ اذا شاء لم يُمسوا جميعًا توالِيا
وان يكُ شيءٌ خالدًا ومعمّرا تأمّل تجد من فوقهِ الله باقيا
لهُ ما رأت عين البصير وفوقهُ سماءُ الاله فوق سبعٍ سمائيا

قال : « وهذه قصيدة عظيمة تشتمل على توحيد الله وقصص بعض الانبياء كنوح ويوسف وموسى وداود وسليمان ». وسنذكر منها ما وقفنا عليهِ

وهو القائل (راجع سيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٥ والاغاني ٣ : ١٦)

أربًا واحدًا ام ألفَ ربٍّ ادينُ اذا تقسّمتِ الامورُ
ولكن أعبدُ الرحمٰن ربّي ليغفر ذنبيَ الربُّ الغفورُ

ومما قال ورقة بن نوفل في التوحيد (راجع الاغاني ٣ : ١٤ وتاريخ الاسحاقي الكبير نسخة باريس ص ٨٨ الخ) :

لقد نصحتُ لاقوامٍ وقلتُ لهم انا النذيرُ فلا يغرُرْكمُ احدُ
لا تعبدنَّ الهًا غيرَ خالقكم فان دعوكم فقولوا بيننا حدَدُ (١
سبحان ذي العرش سبحانًا يعادلهُ (٢ ربُّ البريّة فردٌ واحدٌ صمَدُ
مسخّرٌ كلّ ما تحت السماء لهُ لا ينبغي ان يناوي ملكَهُ احدُ
لا شيء مما نرى تبقى بشاشتهُ يبقى الالهُ ويودي المالُ والولدُ (٣

وقال ايضًا (راجع الاغاني ص ٣ : ١٦)

ادينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أرى ادينُ لمن لا يسمعُ الدهرَ واعيا
اقولُ اذا صليتُ في كل بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمك داعيا (٤

ومن أبدع ما قيل في صفاتهِ تعالى قول امية بن ابي الصلت (راجع مجاني الادب ٥ : ٨ وقصص الانبياء للثعلبي ص ٢٠٩ وكتاب البدء والتاريخ ١ : ١٨٣)

لكَ الحمدُ والنعماءُ والملكُ ربّنا فلا شيء اعلى منكَ مجدًا وأمجدُ (٥

---

١) الحدَد المَنْع . ويروى : دوننا جَدَدُ (٢ ويروى : سبحانًا يدوم لهُ . ويعود لهُ
٣) ويروى : ويردي المالُ
٤) قال في الأغاني : يقول قد خلقتَ خلقًا كثيرًا يدعون باسمك
٥) وروى في قصص الانبياء (ص ٢٠٩ : والفضلُ ربّنا . . . جدًّا وامجدُ

مليكٌ على عرشِ السماء مُهَيمن لعزَّتهِ تعنو الوجوهُ وتسجد
عليهِ حجابُ النور والنورُ حولَهُ وانهارُ نورٍ حولهُ تتوقَّدُ
فلا بصرٌ (١ يسمو اليهِ بطَرْفهِ ودونَ حجاب النور خلقٌ مؤيَّدُ

وهي قصيدةٌ طويلة نقلناها في مجاني الادب وفي شعراء النصرانية عن كتاب مخطوط كان لدى الطيب الذكر السيد البطريرك عبد يشوع خيَّاط

٢ ذكر السماء

وفي الشعر القديم فضلًا عن ذكر صفاتهِ سبحانهُ عزَّ وجلَّ اقوال جيدة في مقامهِ تعالى في السماء وما فيها من المحاسن البديعة. فمن ذلك قول امية بن ابي الصلت يصف الدار العلويَّة (كتاب البدء والتاريخ ١ : ١٦٥)

مجدّوا الله وهو للمجدِ اهل ربُّنا في السماء امسى كبيرا
ذلك المنشئ الحجارة والمو تى واحياهُمُ وكان قديرا
بالبناء الاعلى الذي سبق النا سَ وسوَّى فوق السماء سريرا
شرجعًا (٢ لا ينالهُ بصرُ النا سِ ترى دونهُ الملائك سُورا (٣

وقال يصف السماء وكواكبها من قصيدةٍ اثبتناها في مجموعنا شعراء النصرانية (ص ٢٦٦)

بناها وابنى سبعًا شدادًا بلا عَمَدٍ يُرَيْنَ ولا رجالِ
وسوَّاها وزيَّنها بنورٍ من الشمس المضيئة والهلالِ
ومن شهبٍ تلألأ في دجاها مراميها اشدُّ من النصال

وهو القائل ايضًا (الثعلبي ص ١٥):

إذَا قِيلَ مَنْ رَبُّ هٰذِي السَّمَا فَلَيْسَ سِوَاهُ لهُ يضْطَرِبْ
وَلَوْ قِيلَ رَبٌّ سِوَى رَبِّنا لَقَالَ ٱلْعِبَادُ جَمِيعًا كَذِبْ

٣ ذكر الملائكة ومراتبهم واعمالهم

واجلُّ ما تحتوي السماء من بعدهِ تعالى الملائكةُ والارواح القدسية التي تكرَّر ذكرها في الاسفار الالهية. ولشعراء الجاهلية اقوال في وصفها منها قول أُميَّة بن أبي الصلت (كتاب البدء والتاريخ ١ : ١٦٩)

---

١) وفي كتاب البدء (١ : ١٨٣) : ولا بشرٌ
٢) الشرجع الخشبة الطويلة المربَّعة يريد بها العرش والسرير
٣) في الاصل : صُورا ونظنُّهُ تصحيفًا . والمعنى ان الملائكة امامهُ كسور يحرسونهُ

يتنابهُ المتصفّون بسجرةٍ (١ في الفِ الف من ملائك تُحشَدُ
رسلٌ يجوبونَ السماء بامرهِ لا ينظرون ثواء من يتقصَّدُ
فهمُ كأوب الريح بينا ادبرت رجعت بَوادي وجهها لا تكردُ
حذٌ مناكبهم على اكتافهم زِفٌ (٢ يزفُّ بهم اذا ما استنجدوا
واذا تلاميذ الاله تعاونوا غلبوا ونشّطهم جناحٌ معتدُ
نهضوا باجنحةٍ فلم يتواكلوا لا مُبطئٌ منهم ولا مستوغدُ

وقد قال ايضاً في قصيدتهِ الداليَّة السابق ذكرها يصف الملائكة وصفاً جميلاً ويفصّل اعمالهم قدّام عرشهِ تعالى (مجاني الادب ٥ : ٩) :

ملائكةٌ اقدامهم تحتَ عرشهِ بكفَّيهِ لولا الله كلّوا وابلدوا
قيامٌ على الاقدام عاينَ تحتهُ فرائصُهم من شدَّة الخوف تُرعَدُ
وسبطٌ صفوفٌ ينظرونَ قضاءهُ يصيخون بالاسماع للوحي ركَّدُ
امينٌ لوحي القدس جبريلُ فيهمِ وميكالُ ذو الروحِ القوي المسدَّدُ
وحرّاسُ ابوابِ السماواتِ دونهم قيامٌ عليها بالمقاليد رُصَّدُ
فنعمَ العبادُ المصطفَوْنَ لأمرهِ ومن دونهم جندٌ كثيفٌ مجنَّدُ
ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ
فساجدهم لا يرفعُ الدهرَ رأسهُ يعظّم ربّاً فوقهُ ويمجّدُ
وراكعهم يحنو لهُ الدهرَ خاشعاً يردّدُ آلاء الاله ويحمدُ
ومنهم مُلفٌّ في الجناحَيْن راسهُ يكاد لذكرى ربّهِ يتفصَّدُ
من الخوفِ لا ذو سأمةٍ بعبادةٍ ولا هُوَ من طول التعبُّد يجهَدُ
ودونَ كثيفِ الماء في غامضِ الهوا ملائكةٌ تنحطُّ فيهِ وتصعدُ (٣
وبين طباقِ الارض تحت بطونها ملائكةٌ بالامر فيها تردَّدُ
فسبحان من لا يعرفُ الخلقُ قدرَهُ ومن هو فوق العرش فردٌ موحَّدُ

ولهُ (لسان العرب ١٥ : ٤٠٩) :

وفيها من عباد الله قومٌ ملائكُ ذُلّلوا وهم صعابُ

وقال يذكر الساروفيم والحيوانات الاربعة التي وصفها حزقيال (كتاب البدء ١ : ١٦٨ وعجائب المخلوقات للقزويني ص ٥٦) :

---

١) في الاصل : يتنابه المتصفون بسجرةٍ . ونظنُّها رواية مصحَّفة
٢) الزِفّ بالكسر صغير الريش اراد بهِ اجنحتهم . وقد ضُبط بالاصل بضمّ اوّلهِ
٣) رواهُ في اساس البلاغة (٢ : ١٩٦) :
وتحت كثيف الماء في باطن الثرى ملائكةٌ تنحطُّ فيهِ وتسمع

حُبس السَّرافيلُ الصوافي تحتهُ لا واهنٌ منهم ولا مستوغدُ
رجلٌ وثورٌ تحت يُمنى رجلهِ والنَّسرُ للبسرى وليثٌ ملبدُ (١

٤ الخليقة ونسبتها الى الخالق

وكذلك قد افاض الشعراء الجاهليون في وصف الخليقة ونسبتها الى الخالق جلَّ جلالهُ. قال زيد بن عمرو بن نفيل (الاغاني ٣ : ١٧ وسيرة الرسول لابن هشام ١٤٨ وكتاب البدء ١ : ٧٥ الخ)

واسلمتُ وجهي لمن أُسلمتْ لهُ الارض تحملُ صخرًا ثقالا
دحاها فلمَّا رآها استوتْ على الماء ارسى عليها الجبالا
واسلمتُ وجهي لمن أُسلمتْ لهُ المُزنُ تحمل عذبًا زلالا
اذا هي سيقت (٢ الى بلدةٍ اطاعت فصبَّت عليها سجالا

وقال امية بن ابي الصلت (شعراء النصرانية ٢٣٥ وكتاب الاضداد ٥١):

الحمدُ للهِ الذي لم يتَّخذ ندًّا (٣ وقدَّر خَلْقَهُ تقديرا
وغنا لهُ وجهي وخَلْقي كلُّهُ في الخاشعين لوجههِ مشكورا

وقال في تكوين الارض (مجاني الادب ٥ : ٥):

وشقَّ الارضَ فانبجست عيونًا وأنهارًا من العَذْب الزُّلالِ
وبارك في نواحيها وزكَّى بها ما كان من حرثٍ ومالِ
فكلُّ معمَّرٍ لا بُدَّ يومًا وذي دنيا يصير الى زوالِ
ويفنى بعد جدَّتهِ ويَبلى سوى الباقي المقدَّس ذي الجلالِ

وقال ايضًا (مجاني الادب ٥ : ٩):

هو الله باري الخَلقُ والخلق كلهم إماءٌ لهُ طوعًا جميعًا واعبُدُ
تسبِّحهُ الطير الجوانحُ في الخفى واذ هي في جوّ السماءِ تصعَّدُ
ومن خوف ربّي سبَّح الرعد فوقنا وسبَّحهُ الاشجارُ والوحشُ أبَّدُ

---

١) رواهُ في كتاب البدء (ص ١٦٨)
رجلٌ وثورٌ تحت رجل يمينهِ والنَّسرُ للأُخرى وليثٌ مرصدُ
٢) رواها في كتاب البدء غلطًا (ص ٧٦): سوقت ٣) ويروى: ولدًا

وسبحهُ الثبانُ والبحر زاخرًا وما ضمَّ من شيء وما هو مُقلدُ (١
وانّى يكونُ الخلقُ كالخالق الذي يدومُ ويبقى والخليقةُ تنفدُ
وليس لمخلوقٍ من الدهر جدّةٌ ومن ذا على مرّ الحوادث يخلدُ
وتفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميتُ ويحيي دائبًا ليس يَهْمدُ

وله ايضًا في تكوين الحيوانات (كتاب الحيوان للجاحظ Ms. de Vienne, ff. 397r)

خلقَ النحلَ معصراتٍ تراها تقصفُ اليابساتِ والخضورا
والتماسيحَ والسنادِلَ (٢ والآيلَ م شتًّى والرِئمَ والعصفورا
وصوارًا من النواشط عيرًا ونعامًا صواحيًا وحميرا
واسودًا عواديًا وفيولًا وسباعًا والنمل والخنزيرا

وقال عديّ بن زيد العباديّ يصف ايّام الخليقة (كتاب البدء ١ : ١٥١)

اسمعْ حديثًا كي يومًا تجاوبهُ عن ظهر غيبٍ اذا ما سائلٌ سألا
أن كيف أبدَى الهُ الخلق نعمتهُ فينا وعرَّفنا آياتهِ الأُوَلا
كانت رياحًا وماء ذا عُرانيةٍ وظلمةً لم يدع فتقًا ولا خللا
فآمرِ الظلمةَ السوداء فانكشفت وعزَّل الماء عمَّا كان قد شغلا
وبسَّط الارض بسطًا ثم قدَّرها تحت السماء سواءً مثل ما فعلا
وجعل الشمس فصلًا (٣لا خفاء بهِ بين النهار وبين الليل قد فصلا
قضى لستَّة ايّام خلائقهُ وكان آخرُ شيء صوَّر الرجلا

٥ تكوين الانسان وحلولهُ في جنّة عدن ومعصيتهُ

ولهم ايضًا اقوال في خلقة الانسان وسكناهُ في جنّة عدن وتجربة الحية لحوّاء وسقوط الابوين الاوّلين ما نصهُ. قال عديّ بن زيد في القصيدة السابقة يذكر شأن خلقة آدم ومعصيتهُ (كتاب الحيوان للجاحظ (Ms. de Vienne, ff. 213r

قضى لستَّة ايّام خليقتهُ وكان آخرها أن صوَّر الرجلا
دعاهُ آدم صوتًا فاستجاب لهُ بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا

---

١) رواهُ في لسان العرب وفي اساس البلاغة في مادّة قلد. قال في الاساس: اقلد البحر على خَلق كثير أزنج عليهم واطبق لمّا غرقوا فيهِ. وقال في اللسان: أقلد ضمَّ عليهم اي غرَّقهم كانهُ اغلق عليهم وجعلهم في جوفهِ. و يروى: والبحر زاخرُ ٢) السندل نوعٌ من الطير
٣) في الاصل مصيرًا وهو تصحيف فضلًا عن كسر الوزن

ثُمَّتَ اورثَهُ الفردوسَ يعمرها وزوجةً صنعةً من ضلعهِ جعلا
لم يَنهَهُ ربُّهُ عن غير واحدةٍ من شجر طيّبٍ ان شمَّ او اكلا
تعمَّدا للّتي من اكلها نُهيا بامر حوّاء لم تأخذ لهُ الدَّغلا
كلاهما خاط اذ برٌّ لبوسُهما من ورق التين ثوبًا لم يكن غُزلا
فكانت الحيَّة الرقشاء اذ خُلقت كما ترى ناقةً في الخلق او جملا
فلاطها الله اذ اغوت خليقتَهُ طول الليالي لم يجعل لها أجلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عمرت والترب تأكلهُ حزنًا وان سهلا (١
فأتعبا (كذا) ابوانا في حياتهما ووجدا الجوع والاوصاب والعللا
وأوتيا الملك والانجيل نقرأهُ نشفي بحكمتهِ احلامنا عَللا
من غير ما حاجةٍ الّا ليجعلنا فوق البريَّة اربابًا كما فعلا

وروى العصاميّ في تاريخهِ الموسوم بسمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي لعديّ بن زيد ابياتًا اخرى في تجربة ابليس والحية (نسخة مكتبتنا الشرقية ص ١٩):

سعى الرجيمُ الى حوّا بوسوسةٍ غوتْ بها وغوى معها ابو البشرِ
خَلقانِ من مارجٍ انشا خليقتَهُ وآخر من تراب الارض والمدَرِ
انشاهما ليطيعاهُ فخالفهُ ابليس عن امرهِ للحَين والقدرِ
فأبلس الله ابليسًا واسكنهُ (٢ دارًا من الخلد بين الروض والشجرِ
فاغتاظَ ابليسُ من بغيٍ ومن حسدٍ فاحتال للحية الرقطاء والطيَرِ (٣
فأدخلاه بأيمانٍ مؤكَّدةٍ اعطاهما بيمين كاذبٍ غدرِ
هناك سار الى حوّا بوسوسةٍ اردت بغرَّتها معها ابا البشرِ
فأُهبطوا في معاصيهم وكلُّهم نأيُ المحلّ فقيدُ العين والاثرِ
واهبط الله ابليسًا واوعدَهُ نارًا تلهَّبُ بالإسعار والشَّرَرِ
وانزل الله للطاووس رخمتَهُ من صوتهِ ورمى رجليهِ بالنكرِ
واعقب الحية الحسناء حين عقت (٤ مسح القوائم بعد السعي كالبقرِ
واعقب اللهُ حوّا بالذي فعلت بالطمث والطلق والاحزان والفكرِ

٦ بنو آدم

وقد عرف شعراء العرب في الجاهلية اولاد آدم وقصة ولديهِ الاوّلين والدليل على ذلك ابيات جعلوها على لسان آدم وحوّاء يرثيان بها ابنهما هابيل بعد ان قتلهُ

١) من مزاعم بعض الأقدمين ان الحيَّة قبل معصية آدم كانت ذات اربع قوائم فمُسحت قوائمها وزحفت على بطنها ٢) اسكنهُ اي الانسان ٣) يريد الطاووس والعرب يزعمون ان ابليس استعان بهِ ليخدع الانسان فمسخهُ الله بتغيير صوتهِ ورجليهِ ٤) عَقَت مخفَّف عقَّت

قائين وهم يدعونهُ قابيل . وقد قال البعض شططًا اذ نسبوا لادم عينهِ هـذا الشعر الّا انهُ لا يُنكر كونهُ من الشعر الجاهليّ تراهُ مذكورًا في اقدم التآليف العربية (راجع المشرق ٦ : ٤٩٢ وتاريخ الطبري ١ : ١٤٦ وقصص الانبياء للثعلبي ٣٩ ومروج الذهب للمسعودي طبعة باريس ١ : ٦٥ وتاريخ الخميس ١ : ٦١ الخ) :

تغيّرت البلادُ ومَن عليها فوجهُ الارض مغبرٌّ قبيحُ
تغيّر كلُّ ذي حسن ولونٍ وقلَّ بشاشةَ الوجهُ الصبيحُ
وقابيلٌ اذاق الموت هابيـلَ وا حَزَنا لقد فُقد المليحُ
وما لي لا اجود بسكب دمعي وهابيلٌ تضمَّنهُ الضريحُ
وجاورَنا عدوٌّ ليس يفنى لَعينٌ لا يموتُ فنستريحَ (١

ونسبوا لحوّاء جوابا على هذه الابيات :

دع الشكوى فقد هلكا جميعًا بحلكِ ليس بالثمنِ الربيحِ (٢
وما يُغني البكاء عن البواكي اذا ما المرءُ غُيّب في الضريحِ
فبكَ النفسَ منكَ ودعْ هواها (٣ فلستَ مخلّدًا بعد الذبيحِ

ثم نسبوا لابليس قولهُ لهما :

تنحَّ عن البـلاد وساكنيها ففي الجنّاتِ ضاق بكَ الفسيحُ (٤
وكنتَ بها وزوجك في رخاء وقلبك من اذى الدنيا مريحُ
فما زالت مكايدتي ومكري الى ان فاتك الثمنُ الربيـحُ
فلولا رحمةُ الجبّار اضحى بكفّك في جنانِ الخلـد ريحُ

٢ نوح والطوفان

ومما ورد ذكرهُ في الشعر الجاهلي الطوفان العرمرميّ على عهد نوح وما جرى في تلك الطامّة العظمى . قال الجاحظ في كتاب الحيوان (Ms. de Vienne, ff. 212v) كانت العرب تقول : « كان ذلك اذ كان كل شيء ينطق » . و « كان ذلك والحجارة رطبة » . قال امية بن ابي الصلت (راجع ايضًا كتاب البدء ٣ : ٢٥) :

١) لهذه الابيات روايات لا تحصى . ومنهم من يزيد عليها ومنهم من ينقص منها فاكتفينا بما ترى
٢) رواهُ الثعلبي : بموتٍ ليس بالثمن الربيحِ . وفي الطبري (١ : ١٤٦) :
ابا هابيـل قد قُتـلا جميعًا وصـار الحيُّ كالميت الذبيحِ
٣) ورواية الثعلبيّ : فابكِ النفس وانزلْ في هواها
٤) روى في تاريخ الخميس (١ : ٦٣) : في في الخلد ضاق بك الفسيحُ

واذ هم لا لبوسَ لهم تقيهم واذ صمُّ السلامِ لهم رطابُ (١
عَشِيَّةَ أرسلَ الطوفانُ تجري وفاض الماء ليس لهُ جرابُ
على امواج أخضر ذي حبيكٍ كانَّ سُعار زاخره الهضابُ (٢
بآية قام ينطق كلُّ شيء وخان امانةَ الديكِ الغرابُ (٣
وأُرسلتُ الحمامةُ بعد سبعٍ تدلُّ (٤ على المهالك لا تهابُ
تَلمَّسُ هل ترى في الارض عيناً وعائنهُ بها الماء العبابُ (٥
فجاءت بعد ما ركضت بقطفٍ عليهِ الثأطُ والطينُ الكُباب (٦
فلمَّا فرّسوا الآيات صاغوا لها طوقاً كما عُتِدَ السحابُ (٧
اذا ماتت تورّثهُ بنيها وان تُقتَل فليس لها استلاب (٨
جزى (٩ الله الأجلُّ المرء نوحاً جزاء البرّ ليس لهُ كذابُ
بما حملت سفينتُهُ وأنجت غداةَ اتاهُ الموتُ القُلابُ
وفيها من ارومتهِ عيالٌ لديهِ لا الظماء ولا السغابُ

وقال ايضاً امية في الطوفان (راجع كتاب البدء ٣ : ٢٤) :

الى ان تفوت المرء رحمةُ ربّهِ وان كان تحت الارض سبعون واديا
كرحمة نوحٍ يوم حلَّ سفينة (١٠ لشيعتهِ كانوا جميعاً ثمانيا
فلمَّا استنار الله تنوّر ارضهِ فغار وكان الماء في الارض ساحيا

وقال ايضاً في المعنى (فيه) :

---

١) رواه الثعالبي (راجع بلوغ الارب في احوال العرب ٣ : ٢٢١) : لهم عراةٌ الصلاب . وروى في كتاب البدء (٣ : ٢٥) : واذ صخر السلام . وهو تصحيف

٢) هذان البيتان في كتاب البدء (٣ : ٢٥)

٣) روى في كتاب البدء : « بانهُ قام » . وروى في بلوغ الارب : « وكان امانة الديك » . وكلاهما تصحيف

٤) في كتاب البدء : ترلُّ . وهو تصحيف

٥) كذا في كتاب الحيوان . ورواية كتاب البدء (٣ : ٢٥) : بهِ تبئس او اضطراب . ونظنُّ الرواية مصحَّفة ويروى : وعانتهُ وهو غلط

٦) القطف ما قُطف من الاغصان . والثأط الحمأة . والكُباب الطين اللازب . وفي كتاب البدء : عليهِ الشلط والطين الكثاب . وهو تصحيف

٧) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ . وفي كتاب البدء : فلمَّا فرَّشوا الآيات . ولعلَّ معنى فرَّش وفرس ميَّز وفصَّل . وروى في كتاب البدء : السخاب . وهو غلط . وقولهُ : « عُتِد السحاب » لعلَّهُ تصحيف عُقد

٨) روى في كتاب البدء : تورّثها . . . وان قُتلت . يزعم العرب ان الطوق الذي يحلّي عُنق الحمامة جزاء لها على امانتها لمّا عادت الى تابوت نوح

٩) وفي كتاب البدء : فجازى : والبيت مكسور . وكذلك روى : لهُ

١٠) لعلَّ الاصل سفينهُ جمع سفينة

مُنْجٍ ذي الخير من سفينةِ نوحٍ (١ يوم بادت لبنانُ من أُخراها
فار تنّورهُ وجاش بماء طمّ فوق الجبال حتى علاها
قيل للعبد سِرْ فسار وباللّـــهِ على الهول سيرُها وسُراها
قيل فاهبطْ فقد تناهت بك الفُلـــك على راسِ شاهقٍ مرساها

وقال الاعشى (راجع شعراء النصرانية ص ٣٨٩) يمدح اياسًا ويشبههُ بنوح:

جزى الاله اياسًا خير نعمتهِ كما جزى المرءَ نوحًا بعد ما شابا
في فُلكهِ اذ تبدّاها ليصنعها وظلّ يجمع الواحًا وابوابا

وقال امية بن ابي الصلت يصف صنع الله وقدرتهُ في خلاص نوح من الطوفان (راجع خزانة الادب ٤ : ٤):

عرفت ان لن يفوتَ اللهَ ذو قِدَمٍ وانّهُ من عبيد السوء ينتقمُ
المُسبِح الجُشْب فوقَ الماء سخّرها خلال جريتها كانّها عُوَمُ (٢
تجري سفينةُ نوحٍ في جوانبهِ بكل مَوجٍ مع الأرواح تقتحمُ (٣
مشحونةٌ ودخان الموج يرفعها ملأى وقد صُرعت من حولها الامَمُ (٤
حتّى تسوّت على الجوديّ (٥ راسيةً بكلّ ما استودعت كأنّها أُطُمُ (٦

وروي لهُ ايضًا في كتاب الحيوان للجاحظ (Ms de Vienne, ff. 396[٢]) بيتان في البهائم التي كانت في سفينة نوح:

تصرخُ الطيرُ والبريّةُ فيها مع قويّ السباعِ والاقبال

---

١) في الاصل «سفينة نوح» ونظنها هنا تصحيفًا

٢) جاء في خزانة الادب نقلًا عن شرح ديوان اميّة قال: يقال سَبَحَ الرجل وأَسبحهُ الله. والعُوَم جمع العُومة كأنّها حبّة تكون بعمان. والعَامَة شبه الطَّوْف الّا انهُ اصغر منهُ يُركب فيهِ البحر. وروى في لسان العرب (١٥ : ٢٢٨): في اليمّ جريتُها.

٣) قال الشارح: في جوانبهِ اي جوانب الماء. وفي الخزانة بعد هذا البيت قولهُ:

نوديَ قُمْ واركبنْ باهلك م انّ الله موفٍ للناس ما زعموا

وهذا البيت من بحر المنسرح وسابقهُ ولاحقهُ من البسيط. وقد نبّه عليه في ذيل خزانة الادب فليس هو اذن من هذه القصيدة. وهو يروى للنابغة الجعدي على هذه الصورة:

نودي قُمْ واركبن باهلك م انّ الله موفٍ للناس ما زعما

٤) قال الشارح: المشحونة المملوّة. يقال اشحنْ سفينتك اي املأْها

٥) الجودي الجبل الذي يزعم العرب ان سفينة نوح نزلت فوقهُ

٦) والاطم القصر جمعهُ آطام

خرَّ فيها مِن كلّ ما عاش زوجٌ بين ظهرَيْ غوارب كالجبالِ

٨ ذكر ابراهيم الخليل وابنهِ اسحاق

ورد ذكر الخليل في الشعر الجاهليّ . قال عبد المطّلب (المعرَّب للجواليقيّ ٩ واللسان ١٤ : ٣١٤)

عُذْتُ بما عاذ بهِ ابراهِمُ مستقبل القبلةَ وهو قائمُ انّي لك اللّهمّ عانٍ راغمُ

ولهُ : نحنُ آلُ الله في كعبتهِ لم يزلْ ذاك على عهدِ أبراهَمِ

امّا اميّة بن الصلت فقد وصف تقدمة ابراهيم ابنهُ اسحاق للربّ حيث قال (راجع تاريخ الطبري ١ : ٣٠٨ وكتاب البدء ٣ : ٦٥ وقصص الانبياء ٩٣)

ولإبراهيمَ الموَفّي بنذرٍ إحتساباً وحامل الأجْذَال (١
بكرهٍ لم يكن ليصبر عنهُ لو رآهُ في معشرٍ أقتال (٢
ولهُ مديةٌ تخايلُ في اللحـم حُذامٌ حنيّةٌ كالهلال (٣
أبُنيَّ انّي نذرتُكَ للّهِ شحيطاً فاصبر فدًى لكَ حالي (٤
واشدُدِ الصَّفْدَ لا أحيدَ عن السّكين حَيْدَ الأسير ذي الأغلال (٥
فاجابَ الغلامُ ان قال فيهِ كلُّ شيءٍ لله غير انتحال (٦
جَعَل اللهُ جيدهُ من نحاسٍ اذ رآهُ زَوْلاً من الأزوال (٧
بينما يخلعُ السرابيلَ عنهُ فكّه ربُّهُ بكبشٍ جُلال (٨

١) روى الطبري (١ : ٣٠٨) وصاحب كتاب البدء (٣ : ٦٥) الموفيَ بالنذر . . وروى الثعلبيّ (ص ٨٢) : حامد الاجذال . وروى في كتاب البدء : « الاجزال » بالزاي . وهو غلط . امّا الأجْذَال فجمع جذْل وهو القطعة الكبيرة من الحطب ٢) الأقتال جمع قِتْل وهو النظير والقرن والمقاتل . وروى الطبريّ : او يراهُ . ويروى في بعض نسخهِ : مَعشر أقيال

٣) مديةٌ حُذام وحذام اي قاطعة . وحنيّةٌ مستديرةٌ . وتخايلُ اي تلوح . وروى في قصص الانبياء (ص ٨٣) : تخايلُ في اللحم غلاماً جبينُهُ كالهلال . وهي رواية مصحّفة

٤) الشحيط الذي يَشْحَط اي يضطرب في دمهِ . يريد نذرتُ ان اضحّيك لله . وروى في كتاب البدء (٣ : ٦٥) : سحيطاً . وفي قصص الانبياء : فذلك حالي

٥) لا احيدَ اي لئلّا احيد . يقول لابنهِ : شدَّ اغلالك شدًّا متيناً لئلّا يصيب السكين غير المقتل . ويروى : من السكين

٦) غير انتحال اي غير ادّعاء . يريد انَّ لله حقاً في كلّ شيء حتى في حياة البشر

٧) الزَّوْل الشجاع والعجب . والجيد العنق . لعلّهُ يريد انَّ الله لمّا رأى ابراهيم الخليل مقداماً شجاعاً في تضحية ابنهِ جعل عنق ولدهِ كالنحاس فلم تؤثر فيهِ المدية . ويروى : جعل الله حَيْدَهُ . والحَيْد المثل والنظير ٨) روى في قصص الانبياء : يخلع السراويل . والكبش الجُلال العظيم . وروى الثعلبيّ : بكبش حَلال

قال خذهُ فأرسل ابنَك عنهُ اني مـا قد فعلتما غيرُ قالِ (١
والـدٌ يتَّقي وآخر مولو دٌ فطارا منهُ بسَمْع فعـالِ (٢
رُبَما تجزع النفوسُ من الأمـر لهُ فَرْجةٌ كحلّ العقالِ (٣

٩ ذكر لوط وعقاب سَدوم

وقد عرف ايضاً اهل الجاهلية لوطاً وظلم اهل سدوم وعقاب الله لهم على آثامهم فمن ذلك ما انشد الجوهريّ لبعضهم (تاج العروس ٨ : ٣٣٥ واللسان ١٥ : ١٧٧)

كذلك قومُ لوطٍ حين أمسوا كَصَفْفٍ في سَدومِهِ الرميمِ (٤

وكذلك رُوي لعمرو بن درّاك العبديّ قولهُ (فيهما) :

وانّي وان قطعتُ حبالَ قيسٍ وخالفتُ المرونَ على تميمِ
لَأعظمُ فجرةً من أبي رغالٍ وأجورُ في الحكومة من سدومِ (٥

وقال اميَّة يذكر قصَّة سدوم (معجم البلدان لياقوت ٣ : ٥٩ وكتاب البدء ٣ : ٥٨ وآثار البلاد للقزويني ١٣٥)

ثمَّ لوطٌ اخو سدومٍ (٥ اتاها اذ اتاها برشدها وهُداها
راودوهُ عن ضيفهِ ثم قالوا قد نهيناك ان تقيم قِراها
عرض الشيخُ عند ذاك بناتٍ كظباءٍ بأجرَعٍ ترعاها (٦
غضبَ القومُ عند ذاك وقالوا ايها الشيخ خطبةٌ نأباها
أجمع القومُ امرهم وعجوزٌ خيَّب الله سَعْيها ولحاها (٧

١) روى الطبري : فخذا ذا . والثعلبي : فخذن ذا فدًى لإبْنك . وروى الطبري : للذي قد فعلتما . وقولهُ غير قالٍ اي غير مُبْغض من قلاهُ اذا ابغضهُ اي اني راضٍ بفعلكما

٢) لم يرو البيت غير الطبريّ ولعلَّهُ مصحَّف

٣) وفي كتاب البدء : تكرهُ النفوس . ولهذا البيت قصَّة رويناها في مقدّمتنا على فقه اللغة (ص ١٨) رواهُ في معجم البلدان (٣ : ٥٩) : حين اضحوا . . . رميم

٤) ويروى : لاخسرَ صفقةً من شيخ مهوٍ . وابو رغال هو ملك الطائف الذي دلَّ الحبش على الكعبة

٥) في كتاب البدء : لوطاً اخا سدوم

٦) وفي كتاب البدء : فرعاها . وروى القزويني : غرَض الشيخ

٧) لحاها لعنها . وفي معجم البلدان : ورجاها . وروى القزويني : « عزم القوم امرهم بعجوز . . ورجاها »

ارسل الله عند ذاك عذاباً جعل الارض سَفْلها اعلاها
ورماها بحاصبٍ ثم طينٍ ذي جروف مسوَّمٍ اذ رماها (١

١٠ موسى الكليم وفرعون

ومما اكثر شعراء الجاهليَّة من ذكرِ موسى كليم الله وقصَّتهُ مع فرعون وطغيان فرعون وعقابهُ . فمن ذلك قول زيد بن عمرو في قصيدتهِ اليائيَّة التي رواها البعض لاميَّة ابن ابي الصلت (راجع سيرة الرسول لابن هشَّام ص ١٤٥--١٤٦ وكتاب البدء ١ : ٧٥ وخزانة الادب لعبد القادر البغدادي ١ : ١١٩) :

رضيتُ بك اللَّهمَّ ربًّا فلن أُرى أَدينُ الهًا غيرك الله ثانيا
وانتَ الذي من فضلِ منٍّ (٢ ورحمةٍ بعثتَ الى موسى رسولًا مناديا
فقال أعِنِّي يا ابنَ امِّي فانَّني كثيرٌ بهِ يا ربِّ صِلْ لي جناحيا (٣
فقلتَ لهُ فاذهب وهارونَ فادعُوا الى الله فرعونَ الذي كان طاغيا (٤
وقولا لهُ أَ أَنتَ سوَّيتَ هذه بلا وَتَدٍ حتَّى اطمأنَّت كما هيا (٥
وقولا لهُ أَ أَنتَ رفَّعتَ هذه بلا عَمَدٍ أَرْفِقْ اذًا بك بانيا (٦
وقولا لهُ أَ انتَ سوَّيتَ وسطها منيرًا اذا ما جنَّهُ الليلُ ساريا (٧
وقولا لهُ من يُرسل الشمسَ غدوةً فيُصبحُ ما مسَّت من الارض صاحيا (٨
وقولا لهُ من أَنبت الحبَّ في الثرى فأصبح منهُ البقلُ يهتزُّ رابيا (٩

---

١) وفي معجم البلدان : ذي حروف . والمسوَّم المكلَّف والمسخَّر
٢) وفي خزانة الادب : من فضل سببٍ
٣) هذا البيت في الخزانة فقط
٤) روى في كتاب البدء . فادعو . وهو مكسور الوزن . ورواهُ في الخزانة :
وقلتَ لهارون اذهبا فتظاهرا على المرء فرعون الذي كان طاغيا
٥) روى في بلوغ الارب لشكري افندي الالوسي (٢ : ٣٨٢) : أ انت الذي سوَّيت . وهو مختلّ الوزن . وفي كتاب البدء : حتى استقرَّت : وهو غلط
٦) رواهُ في كتاب البدء :
وقولا لهُ أَ أَنتَ سمَّكتَ هذه بلا عمدٍ حتَّى استقرَّت كما هيا
٧) وفي سيرة الرسول : هاديا
٨) رواهُ في الخزانة : من اخرج الشمس بكرةً فاصبح . . .
٩) رواهُ في كتاب البدء (١ : ٧٥) مصحَّفًا :
وقولا لهُ من ينبت الحيَّ والثرى فتصبح منهُ البقلُ يهتزُّ راسيا

ويُخرجُ منهُ حبَّهُ (١ في رؤوسهِ وفي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا

وقال امية بن ابي الصلت يذكر صلف فرعون وعقابهُ (كتاب البدء ٣ : ٨٢) :

ولفرعونَ اذ تُساقُ لهُ المـا ء فهلَّا لله كان شكورا
قال انّي انا المجيرُ على النا س ولا ربَّ لي عليَّ مجيرا
فجاهُ الالهُ من درجاتٍ ناميات (٢ ولم يكن مقهورا
سُلب الذكر في الحياة جزاءً وأراهُ العذاب والتغييرا
وتداعى عليهم البحرُ حتَّى صار موجاً وراءهُ مستطيرا
فدعا الله دعوةً لا تُهنَّأ بعد طغيانهِ فصار مشيرا (٣

وكذلك ذكر العرب آية المنّ والسلوى. قال الاعشى (سيرة الرسول ٣٦٨) :

لو أُطعموا المنَّ والسلوى مكانَهُمُ ما ابصر الناس طعماً فيهمِ نجعا

١١ داود النبيّ

قد عرف عربُ الجاهليَّة من داود زبورهُ فذكروهُ في شعرهم ثم صار عندهم الزبور كناية عن كلّ كتاب وحي. فمن ذلك قول حاتم الطائيّ يشير الى مزامير داود (الاغاني ٧ : ١٣٢) :

أتعرف آثار الديار توهَّما كخطّكَ في رقٍّ كتاباً مُنَمْنَما
اذاعت بهِ الارواحُ بعد أنيسها شهوراً وايّاماً وحَوْلاً مجرَّما (٤

وقال المرقش الأكبر (شعراء النصرانيَّة ص ٢٨٦ ولسان العرب ١٥ : ٣) :

لا يمنعنَّك من بغا ء الخيرِ تَمْقادُ التمائمْ
ولقد غدوتُ وكنتُ لا اغدو على واقٍ وحاتمْ (٥
فاذا الأشائمُ كالأبا منِ والايامن كالاشائمْ
وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ
قد خُطَّ ذاك في الزبو رِ الاوَّليّات القدائمْ

---

١) في الخزانة : فاصبح منهُ حبُّهُ
٢) كذا في الاصل . ولعلَّها رواية مصحَّفة . وقولهُ : لم يكن مقهورا اي لم يكن الله مغلوباً
٣) لعلَّ في هذه الرواية تصحيفاً
٤) قال صاحب الاغاني (٧ : ١٣٢) : طارحتْ جميلة المغنّية بهذه الابيات لجارية لتغنّيها وحدَّثت انهُ حضر ذلك المجلس جماعة من حذَّاق اهل الغناء فكلهم قال : مزامير داود
٥) الواقي الصُرد . والحاتم الغراب . يقول انهُ كان يتشاءم بهما اذا رآهما صباحاً

وقال مرّار بن منقذ العدويّ في المفضّليات يصف دارًا :

ونرى منها رسومًا قد علتْ مثل خطّ اللامِ في وحي الزُّبُرْ (١

وكان عرب الجاهليّة ايضًا ينسبون الدروع لداود النبيّ ويزعمون انهُ اوّل من سردها. قال طرفة (راجع شعراء النصرانيّة ص ٣٠٩ ودواوين الشعراء الجاهليين ٩٢) :

وَهُمُ ما هُمُ اذا ما لبسوا نَسْجَ داوُودَ لبأسٍ مُحْتَضَرْ

وقال حصين بن الحُمام المرّي (راجع الحماسة طبعة بُنّ ص ١٨٩ وشعراء النصرانيّة ٧٣٨) يصف كتائب :

عليهنَّ فتيانٌ كساهمْ مُحَرِّقٌ (٢ وكان اذا يكسو اجاد واكرما
صفائحَ بُصرى أخلصتها قيونُها ومطّردًا من نَسْجِ داوُود مبهما (٣

وكذا جاء في الحماسة (ص ٢٨٤) الحُسَيْل بن سُجَيْع الضبّي في وصف الدرع:

وبيضاء من نَسْج ابْن داوودَ نَثْرةٍ تخيَّرُها يومَ اللقاء الملابسا

وقال الاعشى (شعراء النصرانيّة ٣٨٨) :

واعددتُ للحرب اوزارها رماحًا طوالًا وخيلًا ذكورا
ومن نسجِ داوودَ يُحْذَى بها على أثر العيسِ عِيرًا فعيرا

وقال سلامة بن جندل في درعٍ (راجع الاصمعيّات ص ٥١) :

مداخلةٍ من نسجِ داوود شكُّها كحبّ الحنا من أبلمٍ متفلّقِ

١٢ سليمان النبيّ

يطنب شعراء الجاهليّة في حكمة سليمان وسموّ سلطانهِ وابنيتهِ العجيبة كما فعل الكتاب الكريم في سفر الملوك الثالث واخبار الأيّام الثاني. ويزيد العرب انّ سليمان كان يسخّر الجنّ في اعمالهِ الجبّاريّة. فمن ذلك قول النابغة في النعمان (راجع شعراء النصرانيّة ٦٦٣ وديوانهُ في العقد الثمين ص ٧) :

١) اي الكتب الموحى بها

٢) هو عمرو بن هند ملك الحيرة قيل انهُ لُقّب بالمحرّق لانهُ حرق بني دارم يوم اوارة

٣) بُصرى مدينة من لواء حوران اشتهرت باسلحتها . والقيون جمع قَين وهو الحدّاد والصَّيْقل . واراد بالمطّرد المبهم يريد الدرع السابغة التي لا ينفذ فيها السهم لتلاحم زردها

ولا ارى فاعلًا في الناس يشبهُهُ ولا أُحاشي من الاقوامِ من احدِ (١
الَّا سليمانَ اذ قال الالـهُ لهُ قُمْ في البريَّة فاحددْها عن الفَنَدِ (٢
وخيّسِ الجنَّ اني قد أَذِنتُ لهم يبنون تدمر بالصُّفَّاح والعَمَدِ (٣
فمن أطاعك فانفَعْهُ بطاعتِهِ كما اطاعك وادلُلْهُ على الرَّشدِ (٤
ومن عصاكَ فعاقِبْهُ معاقبةً تَنْهى الظَّلُوم ولا تَقْعُد على ضَمَدِ (٥

وكذلك قد نسب اعشى قيس بناء قصر الابلق الفرد لسليمان بن داود حيث قال (راجع معجم البلدان لياقوت ١ : ٩٦ وشعراء النصرانيَّة ص ٣٧٥)

ولا عاديا لم يمنعِ الموتَ مالُهُ ووِرْدٌ بتيماء اليهوديّ ابلقُ
بناهُ سليمانُ بن داوودَ حِقبةً لهُ ازجٌ عالٍ وطَيٌّ موثَّقُ
يوازي كُبَيْداء السماء ودونهُ بلاطٌ ودارات ٌ وكلسٌ وخندقُ

وقال الاعشى يذكر سليمان وسعة ملكهِ وتسخيرهُ للجنّ (كتاب البدء ٣ : ١٠٨) :

فلو كان حيًّا خالدًا ومعمّرًا لكان سليمان البريّ من الدهرِ
براهُ الهي واصطفاهُ عبادهُ وملَّكهُ ما بين سرفى الى مصرِ (٦
وسخَّر من جنِّ الملائك شيعةً قياماً لديهِ يعملون بلا أَجرِ

وهذا البيت الاخير رواهُ التاج (٩ : ١٦٩) :

وسخَّر من جنِّ الملائكِ تسعةً قياماً لديهِ يعملون محاربا

وقد دعا النابغة سليمان سُلَيماً ونسب اليهِ نسج الدرُوع حيث قال (ديوانهُ طبعة باريس ص ٩٩) :

وكلُّ صموتٍ نَثْلةٍ تُبَّعيَّةٍ ونسجُ سُلَيْمٍ كلَّ قضّاءَ ذائلِ

---

١) ويروى: وما ارى . . . وما احاشي ٢) ويروى: ولا سُليمان اذ قال المليك لهُ. ويروى: كُنْ في البرية. ويروى: فاحددها عن المَنَد.

٣) خيّسه ذلّلهُ. وتدمر المدينة الشهيرة التي ذكر الكتاب ان سليمان بناها (٣ ملوك ٩ : ١٨) والصفّاح الحجارة العراض. وروى الثعلبي في قصص الانبيا (٢٦٤) :

وجيّش الجيش اني قد أَمِنتُ لهم بناء تدمر بالاحجار والعمدِ

واردها عن الفَنَد. وازجرها عن الفند. والفَنَد الخطأ

٤) ويروى: فاعقبْهُ لطاعتهِ. اي جازهِ

٥) الضمد الذلّ والظلم

٦) في الاصل: عبارة. ونظنُّهُ تصحيفًا. امَّا سرفى فلم نجد لها ذكرًا في كتب البلدان. وقد زعم المسيو هوارت (Cl. Huart) انَّها صرفند وانَّ الاعشى اشتقَّها من اليونانية (Σαρεφθά)

امَّا الحطيئة فدعاهُ سلَّامًا (المعرَّب للجواليقيّ ص ١٠٨) :

فيهِ الرماحُ وفيهِ كلُّ سابغةٍ جلَّاء محكمةٍ من نسج سلَّامِ

١٣ يونان النبيّ

عرفهُ العرب في الجاهلية ودعوهُ يونس وضربوا المثل في حوتهِ فقالوا « آكل من حوت يونس » و « أنهم من حوت يونس » . وقد ورد ذكرهُ في يائية زيد بن عمرو المرويَّة لامية بن ابي الصلت (راجع شعراء النصرانية ٢٣١ وسيرة الرسول لابن هشام ص ١٤٦)

وانت بفضل منكَ نجَّيت يونسًا وقد باتَ في أضعافِ حوتٍ ليالِيا

ومنها في كتاب تاريخ الحيوان والنبات والجماد (Ms 687 de Paris, fl.65) يذكر يقطينة يونس التي انبتها الله وايبستها الشمس بعد ان استظلَّ تحتها (راجع سفر يونان ٤ : ٦—٧ ودُعيت هناك خروعةً) :

فأنبتَ يقطينًا عليهِ برحمةٍ من الله لولا الله أبقى صاحيا (١

١٤ السيد المسيح

ولم نجد بعد النبيّ يونان في شعراء الجاهلية ذكر احد من الانبياء او شيء من احداث الكتاب المقدَّس الى السيِّد المسيح . وهم يذكرونهُ في شعرهم ويدعونهُ الابيل او الزاهد قال عمرو بن عبد الحقّ وقيل ابن عبد الجنّ (راجع المعاجم في مادَّة ابل) :

وما قدَّس الرُّهبان في كل هيكل ابيل الابيلين المسيح بن مريما (٢

ولأُمية بن ابي الصلت ميمية روى فيها اخبار السيد المسيح وبشارة الملاك لوالدتهِ الطاهرة وذكر ميلادهُ العجيب بقوَّة الروح القدس . لكنَّهُ ادخل في قولهِ بعض المزاعم المنقولة عن الاناجيل غير القانونية (راجع كتاب البدء ٣ : ١٢٣) :

وفي دينكم من ربِّ مريمَ آيةٌ منبِّئةٌ بالعبد (٣ عيسى بن مريمِ
اتابت لوجه الله ثم تبتَّلت فسبِّح عنها (٤ لومةَ المتلوِّمِ

---

١) كذا في الاصل . ولعل الرواية : ما بقي صاحيا
٢) ويروى : ابيل الابيليّين عيسى بن مريما
٣) في الاصل والعبد ونظنُّها تصحيفًا . وقد دعا المسيح عبدًا لله من حيث طبيعتهِ البشريَّة
٤) سبِّح عنها اي نزِّه وأبعد

فلا هي همَّت بالنكاح ولا دنتْ ... الى بشرٍ منها بفرجٍ ولا فمِ
ولطَّت حجاب البيت من دون اهلها ... تَغيَّبُ عنهم في صحاريَ رِمرِمِ (١
يحارُ بها الساري اذا جنَّ ليلهُ ... وليس وان كان النهار بمُعلمِ
تدلَّى عليها بعد ما نام اهلُها ... رسول فلم يَحْصَر ولم يترمرمِ (٢
فقال ألا لا تجزعي وتُكذّبي ... ملائكةٌ من ربِّ عادٍ وجُرهمِ
أنيبي وأعطي ما سُئلتِ فإنني ... رسولٌ من الرحمٰن يأتيكِ بابْنَمِ (٣
فقالت لهُ انّى يكونُ ولم اكن ... بغيًّا ولا حُبلى ولا ذات قيّمِ (٤
أ أُحرَجُ بالرحمان ان كنتَ مؤمنًا ... كلايَ فأقعُد ما بدا لكَ او قمِ (٥
فسبّح ثم اعترّها (٦ فالتقت بهِ ... غلاماً سويَّ الخَلْق ليس بتوأمِ
بنفخةِ في الصدر من جيب درعها ... وما يصرم الرحمٰن مِلْ امرٍ يُصرَمِ (٧
فلمَّا اتَتْهُ وجاءت لوضعهِ ... فآوى لهم من لومهم والتندُّمِ (٨
وقال لها مَنْ حولها جئتِ مُنكرًا ... فحقٌّ بان تُلْحَي عليهِ وتُرْجَمي (٩
فادركها من ربّها ثَمَّ رحمةٌ ... بصدق حديثٍ من نبيٍّ مكلّمِ (١٠
فقال لها اني من الله آيةٌ ... وعلّمني والله خيرُ معلّمِ

١) يقال لطَّ الباب اذا اغلقهُ . ورِمرِم مكان ذُكر في دارات العرب (راجع ياقوت ٢ : ٥٢١) او يكون الرِمرم الحشيشة المشوكة المعروفة ايضاً بالرِمرام فنسب الصحاري اليها . اما المعنى فغير واضح . لعلَّ الشاعر يريد انَّ مريم خرجت الى الصحراء وهناك ظهر لها الملاك وهو قول لا سَنَد لهُ اخذهُ اميَّة من اقوال الكتب غير القانونية

٢) حَصِرَ قصر عن الكلام . وترمرم حرَّك شفتيهِ بالكلام . يريد ان كلامهُ لم يكن كمثل كلام البشر

٣) إبنم كاٰبن زيدت فيها الميم (راجع المشرق ٦ : ٢٢٣) . وقولهُ : « وأعطي ما سُئلتِ » اي إرْضَي بما طلبهُ منكِ الربّ

٤) ذات قيّم اي ذات زوج . والبيت ترجمة قول العذراء للملاك : كيف يكون ذلك وانا لا اعرف رجلًا

٥) في الاصل : أ أخرج وهو تصحيف . والمعنى : كيف آثمُ امام الرحمان . فان صدَّقتَ قولي والّا فافعل ما بدا لك مقيماً او ذاهباً

٦) اعترّها اي اعترض لها . يشير الى قول الانجيل انَّ الروح القدس ظلّلها فحبلت بقوَّتهِ

٧) صرمهُ بتَّهُ وفصلهُ . وقولهُ : مِلْ الامر اي من الامر

٨) في البيت تصحيف . والمعنى انَّ اهل مريم لمَّا رأوا ولدها شكُّوا ببراءتها . وهذا قول ورد في الاناجيل غير القانونية

٩) لحاهُ بكَّتهُ وعابهُ . وفي الاصل بان : تلجي وهو تصحيف

١٠) جاء في انجيل الطفوليَّة غير القانوني ان المسيح برَّر امهُ فتكلَّم في المهد وهو طفل

وأُرسلتُ لم أُرسَل غويًّا ولم اكن شقيًّا ولم أبعث بفحش ومأثمِ

١٥ ذكر يوم الدين والبعث والحساب والآخرة

كان شعراء الجاهلية يعرفون حقيقة القيامة ويوم الحشر وهم يذكرون اهوال الدينونة واحوالها المختلفة ولا شكَّ انَّهم اخذوا ذلك عن الكتب المقدَّسة. قال زهير في معلَّقتهِ (راجع شعراء النصرانية ٥١٨):

فلا تكتمُنَّ اللهَ ما في صدوركم لِيخفى ومهما يُكتَمِ اللهَ يَعلمِ
يؤخَّرْ فيوضع في كتاب فيُدَّخرْ ليوم الحساب او يُعجَّلْ فيُنْقمِ

وقال قسّ بن ساعدة (كتاب المعمّرين لابي حاتم السجستاني طبعة ليدن ص٧٦):

يا ناعيَ الموتِ والاموات في جدثٍ عليهمِ من بقايا بزّهم خِرَقُ (١
حتَّى يعودوا بحال غير حالهمِ خَلْقًا جديدًا كما من قبلهِ خُلقوا (٢
منهم عراةٌ وموّتى في ثيابهمِ منها الجديدُ ومنها الاورَقُ الخَلَقُ

وقال امية بن ابي الصلت عند وفاتهِ (راجع الاغاني ٣ : ١٢٩ وقصص الانبياء ٢٠٩):

انَّ يوم الحساب يومٌ عظيمٌ شاب فيهِ الصغير يومًا ثقيلًا (٣
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في قلال الجبال ارعى الوعولا (٤
كلُّ عيشٍ وان تطاول دهرًا منتهى امرهِ الى ان يزولا (٥
إجعل الموت نصب عينك واحذرْ غولة الدهر انَّ للدهر غُولا

ولاميَّة اقوال عديدة في يوم الحشر (راجع شعراء النصرانيَّة ص٢٢٨):

وحالاتُ دنيا لا تدومُ لاهلها فبينا الفتى فيها مهيبٌ مسوَّدُ
اذ انقلبتْ عنهُ وزال نعيمُها وأصبح من تُربِ القبور يوسَّدُ
فكن خائفًا للموت والبعثُ بعدَهُ ولا تكُ ممَّن غرَّهُ اليومُ او غدُ

وقال يذكر انتظار البشر ليوم الدينونة وظهور المسيح ليدين العالم (كتاب البدء ٢ : ١٤٥):

---

١) ويروى : فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا
٢) ويروى : يحيى بحالٍ . . . خلقٌ مضوا ثم ماذا بعد ذاك لقوا
٣) ويروى : يومًا طويلًا
٤) ويروى : في رؤوس الجبال
٥) ويروى : صائرٌ مرَّةً الى ان يزولا

والناسُ راث عليهم امرُ ساعتهم فكلُّهم قائل للدّين أيّانا (١
ايـامَ يلقى نصاراهم مسيحَهمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا (٢
هم ساعـدوهُ كما قالوا الههمُ وارسلوهُ يريد الغيث دُسفانا (٣

ومنها (راجع خزانة الادب للبغدادي ٤ : ٧) :

لا تخلطنَّ خبيثاتٍ بطيّبة واخلعْ ثيابك منها وانجُ عريانا
كلُّ امرئٍ سوف يُجزى قرضُهُ حسنًا او سيّئًا ومُدينًا كالذي دانـا

وقال ايضًا وقد احسن في وصف الدينونة (كتاب البدء ٢ : ١٤٦) :

ويومُ موعدهم ان يُحشَروا زُمَرًا يومُ التغابن اذ لا ينفعُ الحذرُ
مستوسقين مع الداعي كأنّهمُ رجلُ الجراد رقَتْهُ الريح تنتشرُ
وأُبرزوا بصعيد مستوٍ حرزٍ (٤ وأُنزل العرشُ والميزان والزُبرُ
وحوسبوا بالذي لم يُحصِهِ احدٌ منهم وفي مثل ذاك اليومِ معتبَرُ
فمنهمُ فَرِحٌ راضٍ بمبعثِهِ وآخرون عصَوْا مأواهمُ السَّقَرُ
يقول خزّانها ما كان عندكمُ ألَمْ يكن جاءكم من ربّكم نُذُرُ
قالوا بلى فتبعنا فتيةً بطروا وغرّنا طولُ هذا العيش والعُمُرُ
قالوا امكثوا في عذابِ الله ما لكمُ الّا السلاسلُ والاغلالُ والسمَرُ
فذاك عيشهم لا يبرحون بهِ طول المقام وان ضحّوا وان ضجروا

وقال ايضًا فاجاد (شعراء النصرانية ٢٢٦) :

فكلُّ معمّرٍ لا بُدَّ يومًـا وذي دنيا يصير الى زوالِ
ويفنى بعد جدَّتهِ ويبلى سوى الباقي المقدَّس ذي الجلالِ
ويبقى المجرمون وهم عُراةٌ الى ذات المقـامع والنكالِ
فنادوا ويلنا ويلًا طويلًا وعجّوا في سلاسلها الطوالِ
فلبسوا ميّتين فيستريحوا وكلهمُ ببحر النـار صالِ
وحلَّ المتّقون بدارِ صدقٍ وعيشٍ ناعمٍ تحتَ الظلالِ

---

١) راث اي تأخر . يريد انَّ الناس يكونون في انتظـار الساعة فيقول كل منهم أيّانا اي متى تحلّ

٢) لعل في الاصل والكائنين اي الخاضعين

٣) الدسفان المرسل . يريد انَّهُ تقدَّمهم كالرائد الذي ينتجع الكلأ . لعلَّ في هـذا اشارة الى قول المسيح في انجيل يوحنا الحبيب (١٤ : ٣) . اني ذاهب لاعدَّ لكم المكان . وروى في كتاب البدء : وارسلوه كسوف الغيب . وفي اللسان : يسوف الغيث

٤) كذا في الاصل : والصواب جَرَز . يقال ارض جَرْز وجَرَز اي مجدبة

لهم ما يشتهون وما تمنّوا من الافراح فيها والكمالِ

وهو القائل في وصف الجحيم وافراح الجنّة (راجع المقاصد النحويّة في هامش خزانة الادب ٢ : ٣٤٦ وكتاب منتخب ربيع الابرار Ms. Wien, ff. 16[v]) :

سَلامَكَ ربَّنا في كلّ فجرٍ بريئاً ما تليقُ بك الذمومُ (١
عبادُكَ يخطئون وانت ربٌّ بكفّيك المنايا والحتومُ (٢
غداةَ يقولُ بعضهم لبعضٍ ألا يا ليت امَّكم عقيمُ
فلا تدنو جهنَّمُ من بريءٍ ولا عدَنٌ يحلُّ بها الاثيمُ

ومنها في وصف الهالكين :

فهم يطفون كالاقذاء فيها لَئن لم يغفر الربُّ الرحيمُ

ومنها في الجنة :

ولا لغوٌ ولا تأثيمَ فيها ولا حَنِثٌ ولا فيها مُليمُ (٣
اذا بلغوا التي أجرَوْا اليها تَقَبَّلَهم وحُلّل من يصومُ
وخُفّفت النذورُ واردفتهم فضول الله وانتهت القسومُ (٤

١) سلامَك منصوب بمعنى سلمتَ يا ربَّنا . والذُّموم جمع ذمّ . ويروى : وما تَغَنَّتْك الذموم اي ما تلتصق بك ٢) الحتوم جمع حَتم وهو القضاء ٣) ويروى : ولا غولٌ . والمليم المذنب ٤) وفي كتاب البدء (٢ : ٢٠٢) : وجُفّفت البدور . وهو تصحيف . وهناك ابيات اخرى غلب على اكثرها التشويه لم نثبتها

٢

التشابيه النصرانية

في

شعراء الجاهلية

جمعنا في مقالة سابقة ما وقفنا عليهِ في الشعر الجاهليّ من الأحداث الكتابيَّة منذ اوَّل سفر التكوين الى عهد المسيح لذكرهِ المجد. على انَّ هذه المقالة تكون مبتورةً ان لم نُضف اليها ملحقًا يكون كتتمَّة لها نزيد الآثار المسيحيَّة التي وردت متفرّقةً في اقوال الشعراء الجاهليين. ولا غرو فان كان هؤلاء الشعراء لم يجهلوا امورًا سبقت عهد المسيح وذكروا اشياء عديدة حدثت بعيدًا عنهم أفيكون فاتهم ما هو اقرب منهم زمنًا ومكانًا لا سيَّما انَّ مؤرخي العرب يروون في تآليفهم آثارًا عديدة جرت للنصارى بين اهل الجاهليَّة وذلك في جنوبيّ العرب بين تبابعة حمير وفي شمالي الجزيرة بين المناذرة وفي غربيّها بين الغساسنة وكذلك بين قبائل متعدّدة اشتهرت بالنصرانيَّة قبل الهجرة كتغلب وتميم وكندة. ولمَّا قام بين هؤلاء شعراء مفلقون وفحول مبرّزون لم يمكنهم ان يضربوا صفحًا عن ذكر النصرانية ووصف بعض احوالها. وعليهِ فانَّنا اعملنا النظر في دواوين شعراء الجاهليَّة كامرئ القيس والنابغة وطرفة وزهير فجمعنا منها ما وجدنا فيهِ اثرًا مسيحيًّا من تلميحات وتشابيه وعادات مألوفة واقوال صريحة تدلُّ على انَّ العرب خالطوا النصارى وعرفوا مناسكهم الدينيَّة ورأَوا كنائسهم وما فيها من التصاوير. وكذلك راجعنا المعاجم اللغويَّة كلسان العرب وتاج العروس فنقلنا عنها الالفاظ المخصوصة بالنصرانيَّة مع الابيات التي استشهد بها اللغويُّون نقلًا عن شعراء الجاهليَّة. فضممنا هذه الآثار الى بعضها وجعلناها ابوابًا يسهل على القارئ الرجوع اليها

١ يسوع المسيح

ورد اسم السيد المسيح لهُ المجد غير مرَّةٍ في الشعر الجاهلي . روى اللسان في مادَّة مسح (٣ : ٤٣٠) لشاعر قديم قولهُ يذكر المسيح ومحاربتهُ في آخر الزمان للمسيح الدجَّال :

اذِ المسيحُ يقتلُ المسيحا

(قال) يعني عيسى بن مريم يقتل الدجَّال بنَيْزَكهِ . وجاء لاميَّة بن ابي الصلت يذكر المسيح وظهورهُ يوم الدين (كتاب البدء ٢ : ١٤٥ وما سبق ص ٢١) :

ايَّام يَلْقى نصاراهم مسيحهمُ والكائنين لهُ ودًّا وقربانا

امَّا اسم يسوع فرُوي على صورة القلب باسم عيسى . فمن ذلك بيت لاميَّة ايضًا مرَّ ذكرهُ (ص ١٩) ودُعي المسيح هناك عيسى بن مريم . وكذلك لقَّب الشعراء القدماء السيِّد المسيح بالابيل ومعناهُ الناسك والزاهد والراهب وجعلوهُ ابيل الابيلين لأنَّهُ مثال الرهبان والزهَّاد . قال ابن عبد الجن (راجع الصفحة ١٩) :

وما قدَّس الرهبان في كل هيكل ابيلُ الابيلين المسيح بن مريما

ويروى « وما سبَّح الرهبـان » . وهذا البيت يُنسب ايضًا للاعشى في معرَّب الجواليقي . ونسبهُ ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٧٨١) للاخطل

٢ مريم العذراء

ورد ذكرها في ابيات لاميَّة بن ابي الصلت رويناها عن كتاب البدء المنسوب لابي زيد البلخي (ص ١٩) اوَّلها :

وفي دينكم من ربِّ مريم آيةٌ . . .

٣ الانجيل

جاء اسمهُ في ابيات لعديّ بن زيد نقلناهـا عن كتاب الحيوان للجاحظ (راجع الصفحة ٨) قال :

وأوتيا الملكَ والانجيل نقرأُه نشفي بحكمتهِ احلامنا عَلَلا

وروى البكريّ في معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) لشاعر لم يذكر اسمهُ بيتًا يهجو فيهِ راهبًا نبذ الرهبانيَّة :

هجر الانجيلَ حبًّا للصبى ورأى الدنيا غرورًا فركَنْ

وقد دعا النابغة الذبياني الانجيل بالمجلَّة في مدح غسَّان حيث قال :

مجلَّتهم ذاتُ الالهِ ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

ولعلَّ اميَّة بن ابي الصلت اراد ايضًا في البيت التالي الانجيل فدعاهُ القِطّ ومعناهُ السِفر (كتاب الاضداد ٨١ ولسان العرب ٩ : ٢٥٨) :

قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعًا والقِطُّ والقَلَمُ

٤ الحواريُّون

وهم تلامذة المسيح قيل انهم دُعوا بذلك لنقاوة قلبهم وصفاء سريرتهم . جاء اسمهم في القصائد المعروفة بالاصمعيَّات (راجع نسخة ڤينَّة العدد ٦٢ ثمَّ طبعة Ahlwardt ص ٧٥) يذكر فيها الضابئ بن الحارث بن ارطاة البرجميّ حبَّ الحواريّين للاستشهاد :

وكرَّ كما كرَّ الحواريُّ يبتغي الى الله زُلفى أن يَكُرَّ فيُقتَلا

ويروى : فيُقبَلا

النصرانيّ والنصارى والتنصُّر

لم نجد في الشعر القديم لتبَّاع المسيح اسم المسيحي او العيسوي . اما اسم النصرانيّ وفي الجمع النصارى واسم التنصُّر فقد تكرَّر ذلك في الشعر الجاهليّ قال طخيم بن الطخماء يمدح بني تميم (راجع التاج ٣ : ٥٦٩) :

واني وان كانوا نصارى احبُّهم وبرتاحُ قلبي نحوهم ويتوقُ

وقال عبدالله بن الزبير في حجار بن ابجر العجليّ (الاغاني ١٣ : ٤٦) :

سلبل النصارى سُدْتَ عِجلًا ومن يكنْ كذلكَ اهل أن يسود بني عجلِ

وجاء لجابر بن حنيّ الجاهليّ (شعراء النصرانيَّة ص ١٩٠) :

وقد زعمتْ جراء انَّ رماحَنا رماحُ نصارى لا تخوضُ الى دمِ

وكذلك ورد في ديوان حسَّان بن ثابت (ص ٢٤ من طبعة تونس) :

فرحتْ نصارى يثرب وجهودها لمَّا توارى في الضريح المُلحدِ

وروي لحاتم الطائي في التنصُّر (الاغاني ١٦ : ١٠٤) يذكر ديار لحيان وكانوا نصارى :

وما زلتُ أسعى بين نابٍ ودارةٍ بلحيان حتَّى خفتُ ان اتنصَّرا

وقال في اللسان (٧ : ٦٨ وتاج العروس ٣ : ٥٦٩) ان النصرانة مؤنث النصراني واستشهد بقول ابي الاخزر يشبه ناقتين طأطأتا رأسيهما من الإعياء بالنصرانيَّة التي تطأطئ رأسها في صلاتها :

فكلتاهما خرَّتْ وأسجدَ رأسها كما أسجدتْ نصرانةٌ لم تحنَّفِ

(قال) وقال في التهذيب : وجاء انصار في جمع نَصران وانشد :

لمَّا رأيتُ نبطًا انصارا

اي نصارى من النبط

٦ الصليب

ذكرهُ الشعراء الجاهليُّون غير مرَّة في اقوالهم . فمن ذلك بيت ادرجناهُ في مقالتنا عن آداب العرب في الجاهليَّة (المشرق ٦ : ١٠٦٣) وهو لعديّ بن زيد رواهُ في الاغاني (٢ : ٢٤) :

سعى الاعداء لا يألون شرًّا عليك وربِّ مكَّةَ والصليبِ

وقد ذكر النابغة صليبًا منصوبًا على الزوراء وهي الرصافة من مساكن بني حنيفة . قال (راجع شعراء النصرانيَّة ص ٦٥٤ وديوان النابغة في العقد الثمين ص ٤)

ظلَّت أقاطيعُ أنعامٍ مؤبَّلَةٍ لدى صليبٍ على الزوراء مَنْصوبِ

وقال الشارح : اراد صليب النصارى وكان النعمان نصرانيًّا . وقال الصغَّاني في معجمهِ انَّ النابغة اراد بالعَلَم في شعرهِ الصليب لانهُ كان نصرانيًّا (صلب Lane s. v.) . وكان المتنصرون من اهل الجاهليَّة يعبدون الصليب كما دلَّ عليهِ بعضهم في هجو بني عجل وكانوا نصارى راجع الاغاني (١٣ : ٤٧) :

تُعَدِّدُني عجلٌ وما خلتُ انَّني خلافٌ لعجلٍ والصليب لها بعلُ

وكذلك جاء في شعر الاخطل (راجع ديوانهُ ص ٣٠٩) أنهم كانوا يخرجون لغزواتهم والصليبُ يتقدَّمهم :

لمَّا رأونا والصليب طالعا خلّوا لنا راذانَ والمزارعا

٧ القربان والشَّبَر

وردت لفظة القربان في بيت لأُميَّة سبق قبل هذا . ويراد فيهِ بالقربان الذبيحة التي يُتقرَّب بها الى الله . امَّا معنى القربان الاقدس وسرّ جسد ودم المسيح فانَّ شعراء الجاهليَّة ذكروهُ باسم الشَّبَر . قال عديّ بن زيد للنعمان (لسان العرب ٦ : ٥٨ وشعراء النصرانية ٤٥٢) :

اذ اتاني نبأٌ من مُنعمٍ لم أَخُنْهُ والذي أعطى الشَّبَرْ

قال الشارح القديم . الشبر هو الانجيل والقربان . وقد وردت هذه الكلمة في شعر العجّاج قال :

الحمدُ لله الذي اعطى الشَّبَرْ

وعلى ظننا انَّ الذين هجوا بني حنيفة لأَكلهم ربَّهم وقت المجاعة انمَّا ارادوا القربان الاقدس كان بنو حنيفة النصارى يتناولونهُ فظنَّ الشاعر انَّ ذالك لجوعهم . قال بعضهم (راجع كتاب المعارف لابن ابي قتيبة ص ٢٠٥ من طبعة ليدن)

أَكلتْ حنيفةُ ربَّها زمن التقحُّم والمجاعه
لم يحذروا من ربِّهم سوء العقوبةِ والتباعه

وقال الاخر :

اكلتْ ربَّها حنيفةُ من جو عٍ قديمٍ بها ومن إعْوازِ

وكذلك اتَّخذوا الخمر للقربان قال ايمن بن خُرَيم (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

وصهباء جرجانيَّةٍ لم يطُفْ بها حنيفٌ ولم تنفرْ بها ساعةً قدرُ
ولم يشهدِ القسُّ المُهَيْنِمُ نارَها طروقًا ولا صلَّى على طبخها حبرُ

٨ اعياد النصارى

يؤخذ من الشعر القديم انَّ النصارى كانوا يعظّمون اعيادهم . قال العجّاج يصف ثورًا وحشيًا (راجع كتاب الالفاظ لابن السكّيت ص ٤٤٦ وتاج العروس ٢ : ٤٣٨) :

واعتاد ارباضًا لها آريُّ من معدنِ الصبرانِ عُذْليُّ
كما يعود العيدَ نصرانيُّ

وكانوا يلبسون اللبس الفاخر في اعيادهم . قال امرؤ القيس يشبه سرباً من النعاج برواهب العيد وملابسهنَّ (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ١١٨) :

فآنستُ سِرْبًا من بعيدٍ كأنَّهُ رواهبُ عيدٍ في ملاءٍ مهذَّبِ

٩ عيد الشعانين

الشعانين والسعانين لفظتان قديمتان اصلهما من العبرانيَّة من قول اليهود « هوشعنا » يوم دخول المسيح لاورشليم . وقد ذكر النابغة هذا العيد في مدحهِ لغسَّان ودعاهُ عيد السباسب (ديوانهُ في العقد الثمين ص ٣ وتاج العروس ١ : ٢٩٤) :

رقاق النعال طيِّبٌ حُجُزاتهم يُحَيَّونَ بالرَّيحان يومَ السباسبِ

١٠ عيد الفصح

ورد في قصيدة لاعشى قيس مدح فيها هوذة وكان اطلق سبيل اسرى من بني تميم يوم عيد الفصح تقرُّبًا لله . قال (راجع تاريخ الطبري ١ : ٩٨٧ وتاريخ ابن الاثير ١ : ٢٦٠) :

ففكَّ عن مائةٍ منهم اسارَهُمُ وأصبحوا كلُّهم من غُلِّهِ خُلعا
بهم تقرَّب يومَ الفصحِ ضاحيةً يرجو الإله بما أسدى وما صنعا

وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل . قال اوس بن حجر يصف رمحهُ وقد شبَّه ما يعلوه من السنان بمصباح يوقدهُ كبير النصارى بالفصح (راجع شعراء النصرانيَّة ص ٤٩٤) :

عليهِ كمصباحِ العزيزِ يَشُبُّهُ لفصحٍ ويَحْشوهُ الذُّبَال المُفَتَّلا

قال الشارح : « اراد السنان الشديد الائتلاق وهو مثل مشعل الجليل العظيم الشأن من بطارقة الروم لا سيَّما اذا الهبهُ في ليلة فصح واذا كان في مثل هذه الليلة كان انور واكثر ضوءا » .

وقال عبدالله بن الزبير في الفصح وافراحهِ عند بني عجل (اغاني ١٣ : ٤٦) :

فكيف بعجلٍ ان دنا الفصحُ واغتدتْ عليك بنو عجلٍ ومرجلُكم يغلي

١١ الكنيسة او البيعة

الكنيسة لفظة عبرانيَّة يراد بها مكان الصلاة للنصارى . وأتت بمعنى محلّ صلاة اليهود . ومنهم من يجعل الكنيسة للنصارى والكنيس لليهود . ولم نجد لفظة الكنيسة

في الشعر الجاهليّ وانمّا وردت في ديوان جرير قال يهجو تغلب (راجع الكامل للمبرّد ٤٨٥ طبعة ليبسيك) :

ما في مقام تغلبٍ مسجدُ وبها كنائسُ حَنْتَمٍ ودِنانُ

(قال) الحنتم الخزف الازرق. امّا لفظة البيعة فسريانيّة ܒܝܥܬܐ ومعناها البيضة والقبّة وقد نطق بها كثير من الشعراء الجاهليّين . قال ورقة بن نوفل (الاغاني ٣ : ١٦) :

اقولُ اذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ تباركتَ قد اكثرتَ باسمك داعيا

وقال لقيط بن معبد الايادي في عينيّته الشهيرة التي وجّهها لقومه ليحذّرهم من كسرى ذي الاوتاد (راجع مختارات شعراء العرب لهبة الله العلويّ ص ٢ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥)

تامت فؤادي بذات الخال خَرْعبةٌ مرّت تريدُ بذات المَذْبةِ اليَعا

وذات الخال وذات العذبة مكانان ويروى بذات الجزع . وروى في التاج : خزعتهُ وهو تصحيف . وقال عبد المسيح بن بقيلة (ياقوت ٢ : ٦٥١) :

كم تجرّمتُ بدير الجَرَعَهْ غُصصاً كَبْدي بها منصدعهْ
من بدورٍ فوق أغصانٍ على كثبٍ زرنَ احتساباً بيعَهْ

وقال الزبرقان بن بدر (سيرة الرسول لابن هشام ص ٩٣٥) :

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يعادلنا منّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ

١٢ الهيكل

الهيكل البناء العظيم . واستُعمل لكلّ كبير الجسم قال التبريزي في شرح الحماسة (ص ٢٩) : الهيكل اصلهُ في البناء . وقال في الاغاني (٨ : ٦١) : « الهيكل العظيم من الخيل ومن الشجر . ومنهُ سُمّي بيت النصارى الهيكل » . وقد ورد بهذا المعنى في الشعر الجاهلي قال عنترة (راجع العقد الثمين ص ١٨١) :

تمشي النعامُ بهِ خلاءً حولهُ مشيَ النصارى حول بيت الهيكلِ

جاء في المحكم (لسان العرب ١٤ : ٢٢٥) في شرح هذا البيت : الهيكل بيت للنصارى فيهِ صورة مريم وعيسى . قال الاعشى (راجع الاضداد ٢٤ ولسان العرب ٦ : ١٤٤) :

وما أَبْيلِيٌّ على هيكل بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

وقد مرَّ ذكر الهيكل في قولهِ :

وما قدَّس الرهبان في كلّ هيكل أَبيلُ الايلين المسيح بن مريما

ومن الكنائس الشهيرة القُلَيس بناها أَبرهة في صنعاء واطنب في وصفها العرب (راجع ياقوت ٤ : ١٧٠) . وكذلك قبَّة نجران التي يضرب العرب بحسنها المثل (راجع مجاني الادب ٥ : ٦٦) ويدعونها ايضًا كعبة نجران . قال الاعشى يخاطب ناقتهُ (ياقوت ٤ : ٧٥٦) :

وكعبةُ نجرانَ حتمٌ عليـــكِ حتَّى تُناخي بأبوابها
تزور يزيدًا وعبد المسيحِ وقيسًا وهم خيرُ أربابها

١٣ المحراب

هي من الالفاظ القديمة التي كرَّرها شعراء الجاهليَّة . قال صاحب تاج العروس (١ : ٢٠٧) محاريب بني اسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلُّون فيها . قال الفرَّاء : المحاريب والتماثيل صور الملائكة والانبياء كانت تصوَّر في المساجد ليراها الناس فيزدادوا اعتبارًا . وممَّن ذكرها في شعرهِ الاعشى (لسان العرب ١٧٧) :

كدُميةٍ صُوِّر محرابُها بمُذهبٍ ذي مرمرٍ ماثرِ

قال ابو عبيدة في شرحهِ : المحراب سيِّد المجالس ومقدَّمها واشرفها . والمرمر نوع من الرخام صلب . ومثلهُ قول الشاعر (التاج ١ : ٢٠٧) :

او دميةٌ صُوِّر محرابها او دُرَّة سيقت الى تاجرِ

(قال) اراد بالمحراب القصر وبالدمية الصورة

١٤ التمثال والصورة

قال في التاج (٨ : ١١١) : التمثال الشيء المصنوع مشبهًا بخلقٍ من خلق الله عزَّ وجلَّ . وقال : التماثيل هي صور الانبياء وكان التمثيل مباحًا في ذلك الوقت . وقد ضمَّنهُ الحارث بن خالد المخزومي في شعرهِ حيث قال (الاغاني ١٥ : ١٣٣) :

وبشرة خَوْد مثل تمثال بيعةٍ تظلُّ النصارى حولهُ يوم عيدها

ويلحق بباب التمثال باب الصورة . قال الاعشى في البيت السابق ذكرهُ :

وما ايبليٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

قال في الاضداد (ص ٢٤) : الايبليّ الراهب . وصلَب من الصلبان . وصار من التصوير . ومن الشعر القديم الذي وردت فيهِ هذه اللفظة بيت لعبد الله بن العجلان (الاغاني ١٩ : ١٠٢) :

غرّاء مثل الهلالِ صورتُها ومثل تمثال صورة الذَّهبِ

(قال) ويُروى « بيعة الذهب » . وروى ياقوت لشاعر قديم (٣ : ٥٢٥) :

حتَّى اذا كنَّ دُوَين الطِربالْ بشَر منهُ بصهلٍ صلصالْ
مطهّر الصورة مثل التمثالْ

١٥ الدُّمية

الدمية كالتمثال والصورة . جمعُها الدُّمى واصلها من السريانيَّة ܕܡܘܬܐ ومعناها الشبهُ . قال في اللسان : الدمية الصورة المنقَّشة من العاج ونحوهِ . وذكر الدُّمى كثير في شعر العرب وكأنهم يخصُّون بها بيع النصارى يدلُّون بذلك على ما جرى مذ ذاك الزمان من العادة المألوفة لدى المسيحيين ان يزيّنوا كنائسهم بالصور ليكرموها لا ليعبدوها كالاصنام . قال عدي بن زيد (راجع كامل المبرّد طبعة رَيّت ص ٤٦٠) :

كَدُمى العاج في المحاريب او كالـ ـبيض في الروض زهرُهُ مستنيرُ

وقال امرؤ القيس (العقد الثمين ص ١٢٨) :

كأنَّ دُمى سُقْف على ظهر مرمرٍ كسا مُزبَدَ الساجوم وشياً مصوَّرا

وقال عبيد بن الابرص (الاغاني ١٩ : ٨٦) :

واوانسٌ مثل الدُّمى حورُ العيون قد استُبينا

وكذلك جاء للنابغة (العقد الثمين ٧ : ١٦) :

او دميةٍ من مرمرٍ مرفوعةٍ بُنيت بآجرّ تُشادُ وقرمدِ

وجاء مثل هذا في الشعر الاسلامي كقول ابي العتاهية (اغاني ٣ : ١٥١) :

كأنَّ عتّابةَ من حسنها دُميةُ قسٍّ فتنت قسّها

وقال الاحوص (الاغاني ٤ : ٤٩) :

كأنَّ لُبنى صبيرُ غادةٍ او دميةٌ زُيّنت بها البيعُ

١٦ الصلاة والسجود والتسبيح

ورد ذكر صلاة النصارى وسجودهم في عدَّة ابيات لشعراء جاهليين . قال المضرّس

الاسديّ (معجم البلدان ٤ : ٣٧٥) :

وسخال ساجية العيون خواذل بجمادِ لِنةَ كالنَصارى السُجَّدِ

(قال) لِنة ماء لبني غاضرة . وكذلك ورد في شعر لبيد (ديوانهُ طبعة ڤيانة ص ١١٣) وصف الثور فشبههُ عند إكبابهِ بالمصلي الذي يفي بنذورهِ قال :

فبات كأَنهُ يقضي نذورًا يلوذُ بغرقدٍ خضلٍ وضالِ

قال الشارح : ويروى : يطيفُ بغرقد . وبات اي الثور اي بات مكبًّا كأَنهُ يصلّي صلاةً يقضي بها نذرًا . والغرقد والضال شجران . وكان المصلّون يتلون صلاتهم وهم قيام ايضًا قال البعيث (التاج ١٠ : ٥٣ واللسان ١٨ : ١١١) :

على ظهر عاديٍّ كأَنَّ أُرومَهُ رجالٌ يتلُّون الصلاةَ قيامُ

(قال) تلَّى فلان صلاتهُ اي اتبع الصلاةَ الصلاةَ او اتبع المكتوبةَ التطوُّعَ . وكانوا يدعون الصلاة تسبيحًا ايضًا قال الاعشى (اللسان ٣ : ٢١٠) :

وسبِّحْ على حين العشيّات والضحى ولا تعبدِ الشيطانَ واللهَ فاعبدِ

١٧ القدّاس

اليهِ اشار الاعشى في بيتهِ السابق ذكرهُ :

وما قدَّس الرهبانُ في كلّ هيكل ايلَ الايلين المسبح بن مريما

فقولهُ « قدَّس » اي اقام رتبة القُدّاس . واصل التقديس التسبيح

١٨ الناقوس والايل

الناقوس لفظة قديمة جاءت في الشعر الجاهليّ . قال المتلمّس يذكرُ خروجهُ الى بلاد غسّان ويصف ناقتهُ (راجع المشرق ٦ : ٥١٣) :

حنَّت قَلوصي جا والليل مطَّرقٌ بعد الهدوّ وشاقتها النواقيسُ

وقال لبيد (راجع ديوانهُ ص ١٣٧) :

فصدَّهم منطقُ الدجاج عن السمهد وضربُ الناقوس فاجتُنبا

وفي هذا شاهد على انَّ النواقيس كانت تقرع قبل السحر . وكذلك قال النابغة الجعديّ (راجع معجم ما استعجم للبكريّ ص ٣٠٠) :

ودسكرةٍ صوتُ ابواجها كصوتِ الموائحِ بالحوبِ
سبقتُ صياح فراريجها وصوتَ نواقيسَ لم تُضربِ

وكانوا يدقُّون الناقوس بعصاً يدعونهُ ابيلًا . ويدعون صاحبها ابيليًّا . قال شاعر (ZDMG, XXXIII, 215):

وما صكَّ ناقوسَ النصارى ابيلُها

وتُدعى هذه الخشبة التي يُضرب بها الناقوس وبيلًا ايضاً . والوبيل عصا الرعاية . ومنهُ المثل في القاموس : رأيتُ وبيلًا على أَبيل اي حبرًا على عصاً

١٩ الدَّير

قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٦٣٩) : الدير بيت يتعبَّد فيهِ الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الاعظم انمَّا يكون في الصحارى ورؤوس الجبال . وقال في اللسان (٥ : ٢٨٧) عن ابن سيده : الدير خان النصارى . والذي يسكنهُ ويعمرهُ دَيَّار ودَيْرانيّ . وقال ابن الاعرابيّ : يقال للرجل اذا رأس اصحابهُ : هو رأس الدير . وورود اللفظة في الشعر القديم اعرف من ان يحتاج لشواهد . قال عدي بن زيد (معجم ياقوت ٢ : ٦٨٠) :

نادمتُ في الدير بني علقما عاطيتُهم مشمولةً عَندَما
كأَنَّ ريح المسك من كأسها اذا مزجناها بماء السما

وقد ذكر ياقوت والبكري في معجمَيهما اسماء نحو مئة دير عرف شعراء الجاهليَّة اكثرها فذكروها في شعرهم

٢٠ العُمْر

قال في التاج العُمر المسجد والبيعة والكنيسة سُمِّيت باسم المصدر لانهُ يُعمَر فيهِ اي يُعبد . قالوا والعمر في شعر المتلمِّس الدير وهم يشيرون الى قولهِ (راجع البكريّ ٦٩٦) :

ألكَ السديرُ وبارقٌ ومبايضٌ ولك الحورنقْ
والعمر ذو الأحساء والسلذَّات من صاعٍ ودَيْسَقْ

٢١ الصومعة والقُوس

الصومعة والصومع بناء للراهب محدَّد الطَّرَف . انشد سيبويه لشاعر لم يذكر اسمهُ :

اوصاك ربُّك بالتُّقى وأُولو النهى اوصوا معَهْ
فاختَرْ لنفسك مسجدًا تخلو بهِ او صومَعَهْ

امَّا القُوس فقال في اللسان (٨ : ٦٩) انهُ رأس الصومعة او موضع الراهب وانشد :

لا وصلَ اذ صرفت هندٌ ولو وقفت لاستَفتَنَتْني وذا المسحَين في القُوسِ

٢٢ البطرك والبطريق

البَطْرك والبِطَرْك على ما جاء في التاج (٧ : ١١١) مقدَّم النصارى . وقال : البطرك هو البطريق . ومنهم من جعل البطريق مقـدَّم جيش الروم . ومن الشعر القديم الذي وردت فيهِ لفظة البطرك قول الراعي يصف ثورًا وحشيًّا :

يعلو الظواهر فردًا لا أليف لـهُ مشيَ البِطَرْكِ عليهِ ربطُ كتَّانِ

وقال اميَّة بن ابي الصلت في البطريق (التاج ٦ : ٢٩٦) :

من كلّ بطريقٍ لبطـريق نقيّ الوجه واضح

وكذلك انشد ابن بريّ :

فلا تنكروني انَّ قومي اعزَّةٌ بطارقةٌ بيضُ الوجوهِ كرامُ

٢٣ الحبر

الحبر الرجل العالم وقيل الصالح من العلماء . ورد لفظُها في الشعر القديم بمعنى زعيم الدين (راجع شعر أَيمن بن خُرَيم ص ٢٨) . وروى ابن هشام (في سيرة الرسول ص ٣٨٤) :

لو كنت مرتهنًا في القُوسِ أفتنني منهـا الكلام وربَّانيَّ احبار

قال ابن هشَّام : « الربانيُّون والاحبار العلماء الفقها السادة » . ولمَّا ذكر القُوس تعين معنى علماء النصارى . وقال : « افتنني لغة تميم وفتنني لغة قيس » . وتأتي الحبر بمعنى كبير اليهود قال الشَّماخ (راجع اللسان ٥ : ٢٢٩) :

كما خطَّ عبرانيَّةً يمينهِ بتيماء حبرٌ ثم عرَّض اسطرا

٢٤ القسّ

قال في اللسان (٨ : ٥٨) وفي التاج (٤ : ٢١٦—٢١٧) : القسّ رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم . ومثلهُ القسيس وجاء جمعها على قساقسة . قال عبدالله بن زبير لحجار بن ابجر العجلي (الاغاني ١٣ : ٤٧) :

وعندك قسّيس النصارى وصُلبها وغانيةٌ صهباء مثل جنى النحلِ

وقال الراجز (اللسان ٨ : ٥٨) :

لو عرضت لأيبليَ قسّ أشمَّ في هيكلهِ مندسّ حنَّ اليها كحنينِ الطسّ

وقال اميَّة بن ابي الصلت (التاج ٤ : ٢١٧) :

لو كان منفلتٌ كانت قسافسةٌ يجيبهم اللهُ في ايديهم الزُّبُرُ

وقال حسَّان (المعرَّب للجواليقي ص ٣٩) :

صبَّحنَ توماء والناقوسُ يقرعهُ قسُّ النصارى حراجيجاً بنا تجفُ

٢٥ الشمَّاس

هي لفظة سبقت الاسلام كما ترى في كتاب الاشتقاق لابن دريد (٢٦٨) وفي الحماسة (ص ٢٥٥) ولم نجدها في شعر قديم . وقد جمعها البحتري (راجع ياقوت ٢ : ٨٣٠) على شمامس حيث قال :

« بين الشمامس والقسوس »

٢٦ الراهب

قد تكرَّر اسمهُ في الشعر القديم . ووصف الشعراء احوالهُ ودعوهُ باسماء شتَّى . قال الاعشى (التاج ١ : ٢٨٠) :

حلفتُ بثَوْبَي راهب الدير والتي بناها قُصيٌّ والمُضاضُ بن جُرهمِ

اراد بثوبيهِ مِسْحيهِ كما قال الآخر (التاج ٨ : ٦٩) :

لا وصلَ اذ صرمت هندٌ ولو وقفتْ لاستَفْتَنَتْني وذا المسحَين في القُوسِ

وكان الرهبان يسكنون في اعالي الجبال انشد ابن الاعرابيّ (التاج ١ : ٢٨١) :

لو كلَّمتْ رهبان دير في القُلَلْ لانْحدر الرهبان يَسعى فنزلْ

قالوا الرهبان هنا مفرد كالراهب . وقال ربيعة بن مقروم الضبيّ يصف مقام الراهب وصلاتهُ وتقشُّفهُ (الاغاني ١٩ : ٩٢) :

لو انَّها عرضت لأشمط راهبٍ في رأس مشرفة الذرى متبتّلِ
جشَّار ساعاتِ النيام لربّهِ حتَّى تخدَّد لحمهُ مستعملِ
لَصبا لبهجتها وحسن حديثها ولهمَّ من ناقوسهِ يتنزَّلِ

ويروى : « مشمعل » بدلاً من « مستعمل » . وقال الراعي (معجم البلدان ٤ : ٥٠١) :

وسِربِ نساءٍ لو رآهنَّ راهبٌ لهُ ظلةٌ في قلَّةٍ ظلَّ رانيا

يقال رنا اليهِ اي طرب لحديثهِ . واكثر الشعراء من ذكر رهبان ناحية مدين . قال كثيِّر عزَّة (ياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مدينَ والذين عهدتُهم يبكون من حَذَرِ العقاب قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ كلامها خرُّوا لعزَّة ركَّعًا وسجودا

وقال جرير ايضًا (ياقوت ٤ : ٤٥١) :

رهبانُ مدينَ لو رأوكِ تنزَّلوا والعصمُ من شَعَفِ الجبالِ الفادرِ

وقال جعفر بن سراقة احد بني قرَّة (الاغاني ٧ : ١٠١) :

فنحنُ منعنا ذا القرى من عدوِّنا وعذرة اذ تلقى يهودًا وبعثرا
منعناهُ من عليا معدٍّ وانتمُ سفاسيفُ روح بين قرحٍ وخيبرا
فريقان رهبان باسفل ذي القرى وبالشام عرَّافون فيمن تنصَّرا

وممَّا اكثر منهُ الشعراء ذكر مصباح الراهب يوقدهُ ليلًا لصلاتهِ فيُرى عن بُعد ويقبل اليهِ الغرباء . قال امرؤ القيس في معلَّقته يصف لمعان البرق :

أصاحِ ترى برقًا أُريك وميضَهُ كلمع اليدين في حبيٍّ مكلَّلِ
يُضيء سناهُ او مصابيحِ راهبٍ أمال السليطَ بالذُّبالِ المُفتَّلِ

وقال ايضًا (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ٢١) :

نظرتُ اليها والنجومُ كأنَّها مصابيحُ رُهبانٍ تُشَبُّ لقُفَّالِ

وهو القائل ايضًا (ص ١٤٨ من ديوانهِ) :

تُضيء الظلامَ بالعشاء كأنَّها منارةُ مُمسَى راهبٍ متبتِّلِ

وكذلك وصفوا صلاة الرهبان في ليلهم وتعبُّدهم وتشعُّث لمَّتهم زهدًا وصومهم . قال منظور الاسدي (راجع تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص ٤١٢) :

كأنَّ مهواهُ على الكَلكَلِ موقعُ كفَّيْ راهب يصلِّي
ببازلٍ وجناء او عيهلِ في غَبَش الصبح او التلِّي

وقال صخر الغيّ (لسان العرب ٩ : ٢٧ والتاج ٥ : ٢٨٣ والهذيليَّات) :

واللهِ لو اسمعت مقالتَها شيخًا من الشُّعث رأسهُ لبدُ
مآبهُ الروم او تنوخُ او الآ ـ طامُ من حورانَ او زَبدُ
لَفاتح البيعَ يوم رؤيتها وكان من قبلُ بَيْعُهُ لكدُ

وقال الآخر (اللسان ١٤ : ٨٩) :

من راهبٍ متبتّلٍ متقهّلٍ حادي النهار لليلهِ متهجّدِ

(قال) قهل الجلد وتقهّل يبس . وقال النابغة (ديوانهُ في العقد الثمين ص١١) :

لو انّها عرضت لاشمطَ راهبٍ عبد الاله صَرُورةٍ متعبّدِ
لَرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخالهُ رشدًا وان لم يَرشُدِ

وربّما دعوا الراهب بالابيليّ والابيل كما مرّ . قال عديّ بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٥) :

انّني والله فاقبل حَلَفي بأبيلٍ كلّما صلّى جأرْ
مرعدٍ احشاؤهُ في هيكلٍ حسنٍ لِتّهُ وافي الشَعَرْ

وعُرف الرهبان ايضًا بصلاتهم العمومية وبتلاوتهم الزبور . قال امرؤ القيس (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٦١) يصف رسوم الدار :

أتت حججٌ بعدي عليهِ فأصبحت كخطّ زبورٍ في مصاحف رهبانِ

٢٧ القُدس والمقدّس واورشليم

عُرف النصارى قديمًا بزيارتهم للاماكن المقدّسة لا سيّما مدينة القدس والى ذلك اشار الشعراء القدماء . قال بعضهم (التاج ٤ : ٢١٣) :

لا نومَ حتّى تحبطي ارضَ القُدُسْ وتشربي من خير ماءٍ بقُدُسْ

(قال) اراد الارض المقدّسة . ومثلهُ قول الحجّاج (اللسان ٨ : ٥١) :

قد علم القُدُّوسُ مولى القُدسِ انّ ابا العبّاس اولى نفسِ
بمعدنِ الملك القديم الكرسيّ

(قال) القدس البيت المقدّس لانّهُ يُتطهّر فيهِ من الذنوب او للبركة التي فيهِ . ودعاهُ الاعشى باسمهِ القديم اوريشلم . فقال (راجع ياقوت ١ : ٤٠٢) :

وطوّفتُ للمال آفاقهُ عُمانَ فحمص فاوريشلِمْ
اتيتُ النجاشيَّ في دارهِ وارض النبيطِ وارض العجمْ

ودعاه الفرزدق باسمهِ الروماني ايليا (Ælia) قال (ياقوت ١ : ٤٢٤) :

وبيتان بيت الله نحنُ ولاتهُ وقصرٌ بأعلى ايلياء مشرفُ

وانشد لاعرابي يصف بعيرَهُ (١ : ٤٢٥) :

فلو انّ طيرًا كُلّفت مثل سيرهِ الى واسطٍ من ايلياء لكلّتِ

سمى بالمهارى من فلسطين بعد ما دنا الفيء من شمس النهار فولّتِ
فما غابَ ذاك اليوم حتّى أناخها بمَيسان قد حُلّت عُراها فكلّتِ

والمُقدّس عندهم الذي يزور القدس. قال امرؤ القيس (راجع ديوانهُ ص ١٣٦) وهو يصف ثورًا ادركتهُ الكلاب فقطّعت جلدهُ :

فأدركنَهُ يأخذنَ بالساق والنَّسا كما شبرق الولدانُ ثوبَ المُقدّسِ

قال في اللسان (٨ : ٥٠) : شبرق جلدهُ اي قطّعهُ . ويقول قطّعهُ الكلاب كما شبرق ولدان النصارى ثوب الراهب الذي جاء من بيت المقدس فقطّعوا ثيابهُ تبرّكًا وكانوا يتبرّكون بهِ وبمسْحهِ الذي هو لابسهُ وأخذ خيوطٍ منهُ حتّى يتمزّق عنهُ ثوبهُ . قيل والمقدّس الحبر. اه

٢٨ ذكر ثياب النصارى

وصف النابغة ثياب النصارى الغسّانيّين حيث قال (العقد الثمين ٤) :

رقاقُ النعال طيّبٌ حُجُزاتهم يُحيّونَ بالرّيحان يوم السباسبِ
تحيّيهم بيضٌ الولائد بينهم وأكسية الإضريج فوق المشاجبِ

قالوا الاضريج الخزّ الاحمر. وقد مرّ في بيت سابق انّ البطرك يلبس رَيطتان. ومما يشير الى انتعالهم قول الشمّاخ (راجع اللسان ١٨ : ٣٠٤ والتاج ٢ : ٥٠) يصف نعامًا في برّيّةٍ :

ودوّيّةٍ قفرٍ تمشّى نعامُها كمشي النصارى في خفافِ البرندجِ

(قال) البرندج فارسيّ معرّب « رَندَه » وهو جلد اسود تُعمل منهُ الخفاف . وكذلك كان العبادِيّون ينتعلون بالأمواق. قال النمر بن تولب (التاج ٧ : ٧٣ واللسان ٢٢ : ٢٢٧) :

فترى النعاج بها تمشّى خلفهُ مشي العبادِيين بالامواقِ

قال ابن سيده : المُوق ضرب من الخفاف جمعهُ امواق وقيل خفّ غليظ يلبس فوق الخفّ . وكانوا ايضًا يلبسون الآخني . قال البعيث :

فكرّ علينا ثمّ ظلّ يجرّهُ كما جرّ ثوب الآخنيّ المقدّسِ

(قال) الآخني الثياب المخطّطة وقيل اكسية سود ليّنة يلبسها النصارى. والمقدّس مرّ ذكرهُ . وقال ابو الخراش :

كأنَّ المُلاءَ الخضَ خلفَ كراعهِ اذا ما عطَى الآخيُّ المخذَّمُ

٢٩ الإران

هو تابوت كان يحمل عليهِ النصارى موتاهم كما نصَّ عليهِ شارح معلَّقة طرفة في قولهِ يصف ناقتهُ :

امون كألواح الإران نسأتُها على لاحبٍ كأنهُ ظهرُ برجدِ

وقال الاعشى (راجع لسان العرب ١٦ : ١٣٥) :

اثرت في جناجنٍ كإران المَيْت عُولينَ فوق عُوجٍ رسالِ

هذا وفي الشعر القديم ايضًا اشارات أُخرى الى عادات نصرانيَّة تراها في قصائدهم من ذلك قول ذي الرَّمة (ديوانهُ المخطوط نسخة مكتبتنا ص ٥٧) :

ولكنَّ اهل امرئ القيسِ معشرٌ يحلُّ لهم اكلُ الخنازير والخمرُ

وكقول اميَّة بن ابي الصلت يشير الى اصحاب الكهف الذين رقدوا في افسس (البيضاوي طبعة ليدن ص ٥٥٥) :

وليس بها الَّا الرقيم مجاورًا وَصيدَهُ والقومُ في الكَهْفِ

واختلفوا في شرح الرقيم فقيل انهُ الجبل الذي كانوا فيهِ وقيل بل وادٍ وقيل هو اللوح الذي عليهِ كانت اسماؤهم (راجع مجاني الادب ٢ ص ٢٣٦)

وكذلك قد ورد في آثار الجاهلية الفاظ أُخرى نصرانيَّة لم نجد عليها شواهد في الشعر وانَّما وردت في الروايات القديمة ونُقلت في معاجم اللغة . فمن هذه الالفاظ ما هو معرَّب كالطران والاسقف والشمَّاس والكرخ والهِنزَمن ومنها ما هو عربيّ محض كقولهم : وَفَه النصرانيّ وتنخَّس . ولعلَّنا نجمع هذه الالفاظ في مقالة مستقلَّة . ان شاء الله (انتهى)

فهرس

بحثين في الاحداث الكتابيَّة والتشابيه النصرانيَّة

في

شعراء الجاهليَّة

الأوّل

الاحداث الكتابية في شعراء الجاهلية

العدد		الصفحة
٠١	تعريف الخالق ووحدانيته وصفاته الالهية	٠٣
٠٢	ذكر السماء	٠٥
٠٣	ذكر الملائكة ومراتبهم واعمالهم	〃
٠٤	الخليقة ونسبتها الى الخالق	٠٧
٠٥	تكوين الانسان وحلولهُ في جنَّة عدن ومعصيتهُ	٠٨
٠٦	بنو آدم	٠٩
٠٧	نوح والطوفان	١٠
٠٨	ذكر ابراهيم الخليل وابنهِ اسحاق	١٢
٠٩	ذكر لوط وعقاب سَدوم	١٤
١٠	موسى الكليم وفرعون	١٥
١١	داود النبي	١٦
١٢	سليمان النبيّ	١٧
١٣	يونان النبي	١٩
١٤	السيد المسيح	〃
١٥	ذكر يوم الدين والبعث والحساب والآخرة	٢١

obeikandl.com

الثَّانِي

التشابيه النصرانية في شعراء الجاهلية

العدد		الصفحة
٠١	يسوع المسيح	٢٥
٠٢	مريم العذراء	〃
٠٣	الانجيل	〃
٠٤	الحواريّون	٢٦
٠٥	النصرانيّ والنصارى والتنصّر	〃
٠٦	الصليب	٢٧
٠٧	القربان والشَّبَر	٢٨
٠٨	اعياد النصارى	〃
٠٩	عيد الشعانين	٢٩
١٠	عيد الفصح	〃
١١	الكنيسة والبيعة	〃
١٢	الهيكل	٣٠
١٣	المحراب	٣١
١٤	التمثال والصورة	〃
١٥	الدُّمية	٣٢
١٦	الصلاة والسجود والتسبيح	〃
١٧	القداس	٣٣
١٨	الناقوس والايل	〃
١٩	الدّير	٣٤
٢٠	العمر	〃
٢١	الصومعة والقوس	〃
٢٢	البطرك والبطريق	٣٥
٢٣	الحبر	〃
٢٤	القس	〃
٢٥	الشماس	٣٦
٢٦	الراهب	〃
٢٧	القُدس والمقدّس واورشليم	٣٧
٢٨	ذكر ثياب النصارى	〃
٢٩	الإران	٣٨

obeikandl.com